ديوان ابن نباتة المصري الفاروقي (686هـ- 768هـ)- (1278م- 1366هـ)

دراسة فنية

د. زينب عبد الكريم

كلية الآداب/ الجامعة المستنصرية

Ibn Nabata Al-Masri Al-Farooqi Poetry Collection (1278-1366): Artistic Study

Dr. Zaynab Abdul Kareem

College of Arts/ University of Al-Mustansirya

Abstract

This poet, just like other traditional poets, begins his poetry by flirting and then interweaves the main aim of the poem as flirting expresses an important psychological part of the poet.

((بناء القصيدة))

نجد في ديوان الشاعر ((ابن نباتة المصري)) اشكالاً متعددة للقصائد، فمنها القصائد الطوال التي بلغ عدد أبياتها ((أحدى عشر بيتاً بعد المئة)) ومنها ما كانت قصائد قصار وصل عدد أبياتها إلى سبعة أبيات فمن النوع الاول قوله:

قضـــى ومـــا قضـــيت مـــنكم لبانـــات متـــــيمٌ عبثـــــت فيـــــه الصـــــبابات

مـــا فـــاض مـــن جفنـــه يـــوم الرحيـــل دمٌ إلا وفـــــي قلبـــــه مـــــنكم جراحـــــات [1]

أما النوع الثاني فورد منها على سبيل المثال:

تسلســـــلت فـــــي خـــــدّي الأدمـــــع معربـــــة فأعجـــــب لمـــــا يســـــمع

قـــد رجـــع الـــدمع إلـــى غربـــه وعـــن غـــزال الشـــرق لا أرجـــع [2]

ولاحظ صورة البيت الثاني وما بها من غزل شفاف رقيق يداعب الخاطر وينزل كالبرد على أذن السامع. وقد ورد في خاتمة القصيدة ذاتها قوله:

عيشـــك والقـــدر كمـــا تشـــتهي تحفـــــض هـــــذاك وذا ترفـــــع [3]

لقد تطرق شاعرنا كغيره من الشعراء إلى الخوض في موضوعات الشعر جميعاً من مديح، وغزل ووصف، ورثاء، وفخر وغيرها وقد أجاد فيها جميعاً مثلما أجاد في طريقته في سبك موضوع القصيدة وبناء النص من حسن الابتداء وبراعة المطلع للوصول إلى الغرض حتى حسن التخلص أو الخاتمة إذ نلمس تعاطفاً بين اجزاء قصائده: وفيما يخص مطلع القصيدة فنجده يمزج في معظم مطالعه ما بين (المديح والغزل) فالغزل يمثل جانباً نفسياً للشاعر.

ويعكس خلجاته الداخلية، ولعله كان ينظر إلى مقدمات القصائد نظرة مختلفة عن الاخرين، لا نظرة تقليدية بل إنه حاول الإضافة على القصيدة والتجديد في المقدمات والتي اطلق عليها ابن المعتز ((حسن الابتداءات))[4]، إن شاعرنا لم يقتصر على ذكر الطلل أو الغزل في مقدمته بشكل تقليدي بل أنه حاول ببراعة خلق مزيج متجانس من اكثر من غرض شعري مثلها ممازجته بين الغزل والطلل أو الغزل والمديح أو جميعها وصبها في قالب شعري يبدأ به نصه باجمل الالفاظ

---

(1) ديوان ابن نباته المصري 67.
(2) المصدر نفسه 308.
(3) المصدر نفسه 308.
(4) البديع لابن المعتز 75.

وأجزلها وأرقها وأسلسها وأقربها وصولاً إلى ذهن السامع بإسلوب واضح ومعان تخلو من التعقيد والركة. لاحظ قصيدته في مدح الرسول ﷺ التي جاء فيها بمطلع مدحي غزلي قال فيه:

شـــجون نحوهـــا العشـــاق فـــاؤا وصـــب مالـــه فـــي الصـــبر راء
وصـــحبٌ أن غـــرُّوا بمـــلام مثلـــي فـــربَّ أصـــاحب بـــالاثم بـــاؤا
وعـــين دمعهـــا فـــي الحـــبِّ طهـــراً كـــأنَّ دمـــوع العـــين بيرخـــاء[1]

هنا الشاعر يمزج المديح بالغزل، وما أروع غزله ومديحه لشخص الرسول الكريم محمد ﷺ.

وكان لشاعرنا براعة في التخلص والانتقال من موضوع إلى موضوع آخر بسلاسة، داخل القصيدة وخاصة فيما يتعلق بمديحه للرسول ﷺ، حيث أنه وجد نفسه مدفوعاً إلى ذلك بحاجة نفسية أملت عليه أن يطيلها الحديث في الغزل حتى غلب طابع الغزل على المديح، وقد يكون هذا المزج مرحلة أو خطوة جديدة في القصيدة، وفي قصائد أخرى مزج ما بين الغزل والوقوف على ديار الاحبة، وذكر الطلل واصفاً لوعة المدور بديار الحبيب وإرسال التحية على إطلال خوالي ذكرته بماضيه البهيج وحبيب الامس، من هذا قوله:

لا وعـــيش اللقـــاء مـــا لـــدموعي وقفـــةٌ بعـــد وقفـــة التوديـــع
يـــا لهـــا باللقـــا ليـــالٍ تولـــت باصـــطباري ومهجتـــي وضـــلوعي
وربوعـــاً كانـــت مـــن الأنـــس تزهـــو فرعـــى الله عهـــد تلـــك الربـــوع
ونجومـــاً مـــن الأحبـــة ســـارت يـــا تـــرى هـــل لســـيرها مـــن رجـــوع [2]

يبث الشاعر هنا شحنة لا يستهان بها من العواطف الصادقة التي تحكي للسامع قصة عشق مرارتها الفراق والالم واللوعة، جسد صورتها من خلال توظيفه لمفردات بعينها مثل (دموعي، توديع، اللقاء، الصبر) وربوعاً كانت بالامس زاهية مبهجة، ثم يختم الصورة بتساؤل حائر (يا ترى هل لسيرها من رجوع) وهيهات لماض أن يعود.

فالسائر من الايام لن يعود وهذه سنة الحياة. وفي هذا النص الغزلي الذي اتخذه الشاعر رمزاً لمدح (الأفضل بن المؤيد) بدأ ابن نباتة قصيدته بذكر الاحبة وقد ختمها بغرض المديح ذاكراً:

لـــك منـــي الـــدُّعا ونظـــم القـــوافي فأعرهـــا لا زلـــت فكـــر الســـميع
وابـــق للمـــادحين منصـــوب ذكـــر بحـــديث المكـــارم المرفـــوع [3]

وعليه فقد اجاد الشاعر (ابن نباتة) عملية الربط بين موضوعين في القصيدة الواحدة او حتى أكثر من موضوعين وباسلوب انسيابي وحرية في الانتقال وحسن التخلص أو كما أطلق عليه (ابن المعتز) ((حسن الخروج))[4] وقد اتفق اكثر النقاد والدارسون على تسميته بـ (حسن التخلص) والمقصود به هو تمكن الشاعر وقدرته على الاستطراد والانتقال من معنى إلى آخر سيتعلق بالغرض الأساس للقصيدة بأسلوب سهل سلس رشيق يختلسه اختلاساً فلا يظهر اختلاف أو تباين اوقطع في لوحات النص الشعري والتنقل بينها أثناء القراءة إذ لا يشعر السامع بصعوبة التنقل في النص من معنى إلى آخر، بل يحدث ذلك بانسيابية لشدة الممازجة والالتئام والانسجام بين المعنيين حتى كأنهما قد أفرغا في قالب واحد [5].

---

[1] الديوان 1.
[2] المصدر نفسه 296.
[3] المصدر نفسه 297.
[4] البديع 60.
[5] ينظر: الايضاح للقزويني 432.

فيتخلص الشاعر من الطلل إلى النسيب إلى المديح أو على العكس من ذلك وقد ينتقل في البيت الواحد، من صورة إلى أخرى ولعل من اجمل تنقلات شاعرنا ابن نباتة، الإنسيابية إلى القصيدة قوله:

أخفي الأسى ولسان دمعي يعلن وأرى الدمى ترنو إليّ فأفتن
وتظلُ تعدي الغانيات مدامعي فمدامعي كعهودها تتلون
بأبي إليّ اسكنتها في خاطري وسرت فسار مع النزيل الممكن
لمياء لي دنيٌ على ميعادها مع أن قلبي عندها مسترهن
تبدي اللآلى منطقاً وتبسماً فكأنّ فاها اللالي معدن [1]

فهنا الشاعر انتقل بانسيابية عالية خلال القصيدة من غرض إلى آخر، فكانت المحصلة ثلاث موضوعات شعرية مابين البدء بالمديح للخليفة (المؤيد) بين التغزل بالحبيبة إلى اسلفها خاطره وصفه الدقيق لها.

ومثلما المطلع وحسن التخلص خطوات مهمة في القصيدة فالخاتمة تبقى البصمة العميقة العالقة في ذهن السامع وكأنها تلخيص دقيق لموضوعات القصيدة والغرض منها.

والشاعر المّجيد هو المتمكن من أن يجعل خاتمة قصيدته مسك ختام يعلق في الأذهان وهذا ما يسميه النقاد بـ(حسن الانتهاء أي خواتيم القصائد).

والخاتمة هي اخر الكلام الذي يتنوه به الشاعر ولذا ينبغي على الشاعر أن يعنى بها لأنها آخر ما يعلق بالأذهان من القصيدة ككل، وعليه فينبغي أن تأخذ مساحة كافية من اهتمام الشاعر من حيث انتخاب الالفاظ الملائمة للمعنى والتي تعطي السامع إحساساً بأن هذه الكلمات هي آخر ما يقال ولا شيء بعدها.

ونجد إن شاعرنا (ابن نباتة) محل البحث قد تميز بتمكنه القولي وحسن خواتيم قصائده التي تلاءمت مع وحدة الموضوع في القصيدة، بأسلوب جميل وسلس، نحو قوله في رثاء ((الشيخ إبراهيم الصباح)) التي استهلها بالفخر وأحسن ختامها بالرثاء جاء في خاتمتها:

يا ابن النبي عزاءً أن بدا كدرٌ فأنها عادة من هذه الدار
للماء والطين أصلُ المرء منتسبٌ فكيف ننكر أن يرثي باكدار
اقول هذا كأني عنه مصطبرٌ والله يعلم ما في طيَّ اضماري [2]

نلحظ في الأبيات اعلاه حسن الخاتمة وارتقاء مستوى نظمها وسبكها هذا في رثاءه للشيخ (إبراهيم الصباح).

إن خاتمة القصيدة تعد القاعدة التي ترتكز عليها القصيدة والانتهاء الذي يستحسن الوقوف عنده، وهو كما ذكر ((ابن رشيق)) قاعدة القصيدة وآخر ما يبقى منها في الاسماع وسبيله أن يكون محكماً لا تمكن الزيادة عليه، ولا يأتي بعده احسن منه، وإذا كان أول الشعر مفتاحاً له وجب أن يكون آخره قفلاً عليه [3].

وعليه فإن (ابن نباته) وضعها في خدمة موضوعه الأساس فكانت هذه الخواتيم مناسبة للموضوع الذي تسير عليه القصيدة في ابياتها كلها ولم يقتصر (ابن نباتة) في نظمه على (عمود الشعر) وإنما خرج عنه باستخدامه (فن شعبي) ظهر في الأندلس بعد دخول العرب إليها سمي بـ :

---

[1] الديوان 486.
[2] الديوان 223.
[3] ينظر: العمدة 243.

فن الموشحات :

الموشحات فن شعري معرب، استحدثه العرب في الاندلس قبل نهاية القرن الثالث الهجري يذكر أن أبياته ينبغي أن يكون عددها خمسة، ويعد (مقدم بن معافى) هو مبتدع هذا الفن وهو ((حزب من الكلام المنظوم تتعدد أوزانه وتتنوع قوافيه تبعاً لرغبة قائله وقدرته على التصرف في أفانين الكلام))[1].

ونجد أن شاعرنا (ابن نباته) قد تطرق كثيراً للنظم في فن الموشحات واخترع ضروباً جديدة وألواناً مختلفة منه، ودليل هذا القول احتواء ديوانه على ثلاث موشحات مختلفة السموط والاغصان ومتنوعة القوافي والاعاريض من ذلك قوله في أحدها وكانت في الغزل:

لهفي على غادة إذا أسفرت ... غارت وجوه الشموس واستترت
لها من السمر قامة خطرت ... كم قتلت عاشقاً وكم أسرت
إذا دعت للنهوض ميلها عطفاً ... كأن سحر الجفون حملها ضعفا
في خدّها شامة معنبرة ... يا نعمة بالشقيق من هرةٌ
وكم لها في الشفاه جوهرة ... تحفُّها ريقةٌ معطرة
من رام بالمشهد أن يمثلها رشقا ... فإنما رام أن يجملها وصفا [2]

هنا جعل (ابن نباتة) الموشحة موحدة الوزن والقافية، وهي حرف (الفاء والالف المطلقة) أما الافرع فجعل كل بيت له وزن وقافية موحدة خاصة به.

وذكر في موشحة اخرى لكن ترتيب الاقفال فيها مختلف مركبة من خمسة أجزاء ومنها مركبة من ستة اجزاء ومنها مركبة من سبعة أجزاء، وأحياناً نجد أقفال داخل الموشحة الواحدة نحو قوله:

حشى من نار صدك ذائبة ... وتحسبها دموعاً ساكبة
ولم يفطن لها سوى صبٍّ أقام ... على فرش السقام
درى ما قصتي فحاكى لوعتي ... وجارى عبرتي
وتبنا كالحمائم في الحنين ... وما يدري الحزين سوى الحزين

سباني بالفتور وبالفنون
غلام شاهرٌ حدّ الجفون
على وجناته لامٌ ونون
يقول وصلك مثلي لن يكون [3]

لقد وظف (ابن نباتة) الالفاظ في الموشحة كصورة جميلة بالالوان مختلفة فكان ترتيبها ترتيباً جميلاً لم يكن كبناء القصيدة في عمود الشعر، لكن مختلفة كل الاختلاف. وهذا شكل من أشكال قصائده.

أما الشكل الاخر في قصائد (ابن نباتة) فهو المقطعات الشعرية.

المقطعات :

[1] ينظر: الموشح في الاندلس وفي المشرق 86 .
[2] الديوان 592.
[3] المصدر نفسه 595.

تضمنت مقطعات (ابن نباتة) موضوعات مختلفة من الشعر العربي، من مثل الغزل والمديح والهجاء والرثاء والوصف، هذا ما أسفر عنه ديوان الشاعر وقد نظمها على الاغلب وفقاً لموضوعات الالغاز أو المداعبة والاخوانيات لاحظ قوله في المديح:

يا من أرى نسبي بيت المديح له ... لو لم يكن لي لا بيتٌ ولا نسبُ
لا تأمرني بمدح الحاضرين فما ... اراه بل لا أرى قلبي له يجب
بيني وبين مدي القوام فاصلةٌ ... ما دام لي في معاني مدحكم سبب[1]

موضوع هذه المقطوعة موضوعها موحد هو (المدح والفخر بالذات) وقد قال ضمن صياغة جميلة في الالغاز جاء فيها:

مولاي ما اسم لنا حل وفق ... وما بـه لا أذى ولا سقم
لسان قوم فإن حذفت وإن ... صحفت بعض الحروف فهو فم [2]

في موضوع المداعبة جاء قوله:

سكنت بالنيل لو لم تكن ... جيرانه لم تك بالشافي
كفاك جيران النيل الأذى ... فحبذا النيلُ بالكاف[3]

هنا يتلاطف الشاعر مع صديق له ناهياً له عن أمر ما بقوله ((كفاك)) مستخدماً صيغة المديح ((حبذا))[4] لنيل العطاء.

وله أيضاً في الاخوانيات مقطوعات منها قوله:

دمْ يا اخي الدين والدنيا معاً ... تعلى بيوت الفضل منك وتكتب
مدح ومنتسب ومسكن نزهةٍ ... كلُّ الثلاثة عنك بابٌ طيب[5]

نجد هنا خطاباً صريح ورسالة واضحة وهي تكمن في ارتقاء منزلة هذا الأخ لأن يكون سنداً في الدين والدنيا وهنا ارتقاء بمنزلة هذا الأخ وعلو مكانة.

لقد اجاد الشاعر في بناءه لقصائده ومقطوعاته الشعرية وكان صاحب أسلوب حسن في اختياره الالفاظ الملائمة للمعنى، سواء أكان ذلك في مقدمات القصائد أو حسن التخلص او الخاتمة وهذا دليل نبوغه الشعري وموهبته التي صقلتها ثقافته العامة، التي ارتقت بمنزلته الشعرية بين شعراء عصره.

ونجد إن قصائده ذات كلاً واحد وكأنه يتمثل إلى الرأي القائل في بناء القصيدة أن ((مثل القصيدة مثل الانسان في اتصال بعض أعضائه ببعض فمتى انفصل واحد عن الاخر وباينه في صحة التراكيب، غادر الجسم ذا عاهة تتخور محاسنه، وتخفى معالمه وقد وجدت حذاق المتقدمين وأرباب الصناعة من المحدثين يحترسون في مثل هذا الحال احتراساً يجنبهم شوائب النقصان))[6].

---

[1] المصدر نفسه 56.
[2] المصدر نفسه 466.
[3] المصدر نفسه 446.
[4] المصدر نفسه 330.
[5] المصدر نفسه 58.
[6] المصدر نفسه 1.

((الالفاظ))

مع إن الالفاظ التي وظفها (ابن نباتة) في قصائده الفاظ ظاهرة سلسة سهلة إلا إن السامع يستشعرها جديدة ولعل السبب في ذلك هو ذكاء الشاعر في توظيفها التوظيف الحسن فحسن الشعر رقة الفاظه ودقة معانيه وجمال أسلوبه، وحسن انسجامه، حيث إن السامع لا يشعر بتنافر الكلمات ولا إلى الالفاظ الركيكة، ولا يقرب المعنى إلى ما ترفضه النفس ويستهجنه الذوق [1].

وقد ذكر الثعالبي عنه ((كانت الألفاظ في شعره مع قرب لفظه بعيد المرام مستمر النظام. يشتمل على غرر من حر الكلام كقطع الروض غب القطر. وفقر كالغنى بعد الفقر. وبدائع أحسن من مطالع الانوار. وعهد الشباب وأرق من نسيم الأسحار، وشكوى الاحباب))[2].

لقد كان ابن نباتة من الشعراء الذين كان لهم تضلع ورسوخ في آداب اللغة العربية نراه بارزاً لا نحتاج في فهم معانيه إلى معجمات اللغة ومنه قوله في قصيدة مطلعها:

ورثت اللفظ عن سلفي واكرم بال نباتة الغرّ السراةِ
فلا عجب اللفظ بحيث يحلو فهذا القطر من ذاك النباتِ[3]

بين الشاعر خلال هذه الابيات رفعة نسبه ورسوخ أهله في العلم وهذا كان عاملاً في جعل ألفاظه عامية شعبية جميلة في الصياغة إذ هو غصنٌ من شجرة وقطر من نبات، وقد اعلم السامع عن سلفه من خلال لفظة بسيطة وهي اسم الاشارة ((ذاك)) فكانت الفاظه مفهومة من العامة والخاصة من السامعين إذ وظفها التوظيف الأمثل الذي يتناسب وتطورات المجتمع فاللغة كائن حي يخضع للتطور والتجديد.

وقد وردت في شعره العديد من الالفاظ العامية التي تتناغم مع مستويات السامعين كافة.

الالفاظ العامية:

من ذلك قوله:

حبها تحتي وفوقي ويميني وشمالي وأمامي ووراءي
فهي ستي جهاتي وليدها سيّدي من حيث ودي وولائي [4]

إن كلمة ((ستي)) هي كلمة عامية ولكن استخدمها الشاعر في شعره ويذكرها الزبيدي بقوله ((وقولهم ((ستي)) للمرأة أي ياست جهات كان كناية عن تملكها له وفي سناء القليل، عامية مبتذلة))[5].

وعبارة عامية مبتذلة قد تكون قاسية بعض الشيء.

وكذلك من الالفاظ العامية التي وظفها ((ابن نباتة)) كلمة (سُكر) في قوله:

سكراً أحبطت أباريق المدام به فرجعت صوت تمتام وفأفاء [6]

هنا ذكر لفظة ((سكر)) كأنها أباريق المدام.

وقد نلمس في شعره فخراً وزهواً بالذات وكأنه يفخر بموهبته الشعرية بين الشعراء قائلاً:

في الشعر والانشاء بابن نباتةٍ تزهو على الخطباء والشعراء [1]

---

[1] زهر الاداب وثمرة الالباب 3/ 83.
[2] يتيمة الدهر 2/ 447.
[3] الديوان 80.
[4] المصدر نفسه 16.
[5] تاج العروس 25/ 248.
[6] الديوان 5.

هنا يوظف الالفاظ على أساس موضوع المفاضلة بين أمرين في مثل ذلك ذكر ابن الأثير ((الالفاظ دخيلة في حيز الاصوات، فالذي يستلذه السمع منها ويميل إليه هو الحسن، والذي يكرهه وينفر منه هو القبيح))[2].

الالفاظ الاسلامية :

وهناك ألفاظ وظفوا ((ابن نباتة)) في قصائده تحمل الروح الإسلامية، وهي واضحة في شعره إذ قد تشكل ظاهرة في شعره من مثل قوله

حسبي من الله غفر الذنوب ومن جدوى المؤيد تجديدٍ لنعمائي [3]

وفضلاً عن أسلوبه في توظيف الالفاظ الموحية بالروح الإسلامية فهو يعتمد أسلوب الاقتباس من القران الكريم.

الاقتباس:

لغة: مصدر اقتبس إذا اخذ من معظم النار شيئاً وذلك مأخوذ من قبس[4].

أما اصطلاحاً: فهو التضمين والاخذ الحرفي أو بتصرف من النص القراني أو الحديث النبوي الشريف أو حتى من الشعر ومأثور القول[5].

وهذا ما نلاحظه في أغلب أشعار ((ابن نباتة)) مثلاً في قوله:

يا ساكني مصر تبت للفراق يدٌ قد صبرت بعدكم حزني أبا لهب
ومهجتي في ضلوعي من جوبوضنا حمالة الهم أو حمالة الحطب [6]

ومثل ذلك أيضاً:

لهفي لنظام مدح فكر أجمعهم بالهمَّ لا بالذكا أمسا أبا لهبِ
كأن أيديهم تبت أسى فغدت من عيِّ أقلامها حمالة الحطبِ[7]

فهذه الأبيات مقتبسة من قوله تعالى: **﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ*مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ*سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ*وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ*فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾**[8]

وقال في موضع آخر:

ما بين معروفها ومنكرها نهيٌ وأمرٌ يرضي به ربَّهُ [9]

وهذا البيت مقتبسٌ من قوله تعالى: **﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ﴾** [10]

إن لشعر الشاعر قيمة جمالية تتأتى من طبيعة البناء اللفظي للكلمة ((فالجمال هو قيمة جمالية إيجابية نابعة من طبيعة الشيء خلعنا عليها وجوداً موضوعياً وهو لذة نعتبرها صفة في الشيء ذاته))[11].

---

[1] المصدر نفسه 16.
[2] جرس الالفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي 58. ماهر مهدي هلال.
[3] الديوان 5.
[4] لسان العرب مادة (قبس).
[5] ينظر: انوار الربيع في أنواع البديع 1/ 217. ابن معصوم المدني.
[6] الديوان 52.
[7] المصدر نفسه 42.
[8] سورة المسد.
[9] الديوان 37.
[10] سورة ال عمران 110.
[11] جرس الالفاظ 62. ماهر هلال.

فاللغة التي وجدناها في ألفاظ ((ابن نباتة)) كانت تحرص على ائتلاف الجرس وسهولة التعبير وصفاء الرونق، وصفة الاراء، فهجرت كل خشن وتجافت عن كل ما يؤدي حركات الصوت وتردد النفس.

التضمين:

هو أن يأخذ الشاعر بيتاً مشهوراً من أشعار غيره ويضمنه في شعره أو أن يأخذ مثلاً معروفاً من امثال العرب ويصوغها ضمن أشعاره مع ضرورة التنبيه على إن لم يكن مشهوراً لدى نقاد الشعر[1]. وهذا كثيراً ما نجده في شعر ابن نباتة المصري نحو قوله:

تحـــدثك الانفـــاس فيهـــا عـــن اللمـــا ويأتيـــك بالاخبـــار مـــن لـــم تـــزود [2]

فهذا البيت ((لابن نباتة)) ضمنه بيتاً للشاعر ((طرفة بن العبد)) الذي قال فيه:

ســتبدي لــك الأيــام مــا كانــت جــاهلاً ويأتيـــك بالاخبـــار مـــن لـــمْ تُـــزودُ

ومن التضعيف قوله مضمناً شعر ((امرؤ القيس)):

وعــادات حــبَّ هــنَّ أشــهر فيــك مــن قفـــا نبـــك مـــن ذكـــرى حبيـــب ومنـــزلِ[3]

وهنا إشادة ببيت امرؤ القيس بوصفه اشهر من نامٍعلى علم، ومن اقواله أيضا:

فأحييـــت ودّاً كـــان كالرســـم عافيـــاً بســـقط اللـــوى بـــين الـــدخول فحومـــل [4]

وقوله:

وقلـــت خليـــلٌ ينشـــد لهـــمَّ ودَّه إلا أيهـــا الليـــل الطويـــل ألا إنجـــل [5]

وله تضمين من من أبيات الحطيئة الشاعر الإسلامي الهجاء مثل قوله:

دع المكـــارم لا ترحـــل لبغيتهـــا وأقعـــد فإنـــك الجـــامع العـــاري [6]

وبيت الحطيئة كان نصه

دع المكـــارم لا ترحـــل لبغيتهـــا واقعـــد فانـــك الطـــاعم الكاســـي

وقد ضمن امثالاً معروفة من امثال العرب إذ لم تكن الاشعار اجلاهلية والاسلامية فقط هي من استهوت ((ابن نباتة)) وحاول الافادة منها في نظمه، قال في ذلك:

ســـود الغـــدائر قـــد تعقـــرب بعضـــها ومـــن الاقـــارب مـــا يكـــون عقاربـــا [7]

---

[1] الايضاح 416.
[2] الديوان 128.
[3] الديوان 393.
[4] المصدر نفسه 393.
[5] المصدر نفسه 392.
[6] المصدر نفسه 236.
[7] المصدر نفسه 26.

البيت تضمن مثلاً عربياً مشهوراً هو ((الاقارب عقارب)) وقد ضمن مثلاً اخر لا يقل شهرة في الاول وهو لأجل عين تكرم الف عين إذ قال في ذلك

أُفدي الذي عدمت له عين فلم تسحر وعينٌ سحرها لا يعدم
أصف العيون من الظباء لأجله ولفرد عين ألف عين تكرم [1]

هكذا كانت اشعاره سلسة سهلة قريبة من القلب يجملها بالوان البلاغة العربية وفنونها، ولعل أولها هو الجناس.

الجناس:

المقصود به أن يكون هناك تجانس ما بين لفظتين تتشابه بالأحرف وتختلف بالمعنى[2]، وهو أي الجناس ركيزة أساس من أساليب البلاغة والبيان حتى إن الأصمعي ألف كتاباً أسماه (الاجناس)[3].

ويبقى مفهوم الجناس من كلام العرب وما أشتبه في اللفظ واختلف في المعنى[4] أي اتفاق الالفاظ في الشكل واختلافها في المعان.

وينبغي الإشارة إلى أن الجناس على أنواع وإن الشاعر ابن نباتة قد تطرق إليها جميعاً وهي

1- الجناس التام أو ما يسمى بجناس المماثلة:وهو أن يتكرر اللفظ باختلاف المعنى [5] أو هو أن تتفق الالفاظ في أربعة أمور (أنواع الحروف، وأعدادها، وهيأتها وترتيبها))[6].

ومن ذلك قول ابن نباتة:

سهام دعا له سهام رأيً لها في كلَّ معركةٍ مضاء [7]

نلحظ هنا الجناس التام ما بين لفظة (سهام الأولى وسهام الثانية) واختلافها في المعنى فقد توافرت فيها الشروط الأربعة آنفة الذكر في حين أن معنى سهام الأولى هي التي يدعو إليها في ساحة المعركة أما سهام الثانية فالمقصود بها ذات الرأي السديد التي لها بصمة واضحة ووجود في كل معركة وهي تصلي في ساحة الوغى.

2- وهو اختلاف اللفظتين بأمرٍ واحد من الأمور التي بنيت عليها شروط الجناس التام ويتفقان في سائر الأمور [8]

كالبتر سيالاً فلا أدري به جفني المسهد سابكاً أم ساكبا [9]

وفي بيت اخر ورد قوله:

رست أحلامهم سرت لها هم فأكرم بالجبال وبالصخور [10]

هنا نجد جناس غير تام لنقص أحد شروط الجناس التام باختلاف المعنى والتركيبة للحروف، لأن الجناس في البيت الاول بين (سابكا وساكبا).

---

[1] المصدر نفسه 479.
[2] ينظر: المثل السائر 1/ 246. وأيضا الطراز المتضمن 2/ 356.
[3] أنوار الربيع 1/ 197.
[4] ينظر: البلاغة والتطبيق 449.
[5] ينظر: العمدة 1/ 322.
[6] ينظر: البلاغة والتطبيق 451.
[7] الديوان 3.
[8] ينظر: البلاغة والتطبيق 451.
[9] الديوان 26.
[10] المصدر نفسه 214.

متفقين في عدد الحروف وأنواعها وهيأتها ولكن مختلفين في ترتيب الحروف، أما الجناس في البيت الثاني كان بين (رست– سرت) مختلفين في ترتيب الحروف متفقين في شروط الجناس التام الاخرى.

3- الجناس اللفظي أو الخطي

هو أن يتماثل ركنان في اللفظتين مع اختلاف ركن واحد خطاً، أو هو اختلاف ركنين من اللفظين مع تماثل ركن واحد واختلافهما بالخط أو الرسم [1].

وفي ذلك جاء قول (ابن نباتة):

الله جـــارك إن دمعـــي همـــة الســـاري يـــا مـــوحش بـــين الاوطـــان والاوطـــار [2]

فإنَّ الجناس في البيت أعلاه يكمن في اللفظتين (الأوطان– والاوطار) فالجناس في اختلاف الحرفين (النون– والراء)

4- الجناس المصحف أو المحرف

وهو اختلاف اللفظين في الهيأة، أو هو أن يختلف اللفظين في حركة اللفظين فقط [3].

في ذلك جاء قوله:

وكـم لائـم فـي حـبَّ خنسـاء أعرضـت وعنـق حتـى جـانس الهجـر بـالهجر [4]

وفي قول اخر له:

لمـن تجتلـي العـافون بعـد عـوارف عـوارف مـا تسـعي إليـه وتطلـب [5]

فالجناس يقع بين (عوارفِ) بتنوين الكسر و(عوارفُ) بالضم، و(الهجر) المفتوحة و (الهجر) المضمومة، علماً إن كلا اللفظتين متطابقتين في ترتيب وعدد وشكل الحروف.

5- الجناس الناقص أو بزيادة حرف

وهو اختلاف لفظتين في عدد الحروف بزيادة أو نقصان وفي ذلك جاء قول (ابن نباتة):

دق علـي البـاب رزق ولـم أسـر أدق بكعبـي متعبـاً بطـوافي [6]

وهنا الجناس يكمن في لفظتي (دق– وأدق) بزيادة الالف على اللفظة الثانية، وقال أيضاً في هذا الباب:

سـريّ فـي حـروف اللفـظ سـر لمنطقـه وللضـاد اختبـاء [7]

6- الجناس المضارع

وهو اختلاف ركنين في حرفين لم يتباعدا مخرجا [8] أو هو ما تتقارب فيه مخارج الحروف ولم تتباعد [9].

---

[1] ينظر البلاغة والتطبيق 453.
[2] الديوان 217.
[3] ينظر: البلاغة والتطبيق 451.
[4] الديوان 195.
[5] المصدر نفسه 44.
[6] المصدر نفسه 327.
[7] المصدر نفسه 2.
[8] ينظر: البلاغة والتطبيق 453.
[9] ينظر: العمدة 1/ 327.

في مثل ذلك قال ابن نباتة:

أخـا العلـم فـي عقـلٍ ونقـلٍ حـوى المـدى وفـاق علـى الماضـي بغيـر خـلاف [1]

وفي مجال آخر قال أيضاً:

إن سـاء قومـاً مقـامي منشـداً مـدحاً لسـاءهم لـي تشـريفٌ وتسـريفُ

فهنا الجناس ما بين (عقل– نقل) لأن العين تقترب [2] من مطلع النون – وما بين (تشريف– وتسريف) فإن النطق بحرف (الشين) يشبه النطق بحرف (السين).

7– الجناس المقلوب

وهو اختلاف اللفظتين في ترتيب الحروف [3] فقد أكثر استخدامه شاعرنا كثيراً في شعره نحو قوله:

إذا كتبـت السـطر مـن مدحـه أضـاء الطـرس ضـياء الغلـق [4]

وقال أيضاً:

سـلوت لكـنَّ قلبـي يـا سـعاد سـلي وأنت في الحلّ من قلبي ومن قبلي [5]

هنا جناس مقلوب بين (السطر والطرس) وهو جناس قلب كلي وما بين (قلبي– وقبلي) وهو جناس جزئي

المقابلة في شعر ابن نباتة:

وهو أن يؤتى بمعنيين متوافقين ثم بما يقابلهما على الترتيب [6] وفي هذا جاء قول ابن نباتة:

وعاضـد السـيف فيهـا السـطر مـن قلـم حتـى أتاهـا بـإطلاب وأبطـال [7]

فالمقابلة هنا ما بين (طلاب – وأبطال) والسيف– والقلم وهي مقابلة جميلة ما بين صدر البيت وعجزه تخلق نوعاً من التوافق والتناغم بين أجزاء البيت.

وقوله أيضاً:

ثنـى عـن العـرض الأدنـى لـه بصـراً ثنـى إلـى جـوهر الأعلـى بصـائره [8]

والمقابلة هنا ما بين لفظتي (الأدنى والأعلى) والتي خلقت تناغماً واضحاً في أجزاء البيت.

الطباق

لغة: الطباق يعني المطابقة في شيئين إذا اجتمعا على حذو واحد [9]

أما اصطلاحاً: فهو أي الطباق الجمع بين الضدين في الكلام أو بيت الشعر[1]، أو هو كل كلام جمع فيه بين الضدين مطابقة وطباقاً [2].

---

[1] الديوان 327.
[2] المصدر نفسه 326.
[3] ينظر: البلاغة والتطبيق 454.
[4] الديوان 349.
[5] المصدر نفسه 380.
[6] ينظر: البلاغة والتطبيق 440.
[7] الديوان 387.
[8] المصدر نفسه 209.
[9] ينظر: البديع 36.

فقد كان طباق (إيجاب أو سلب) والاول هو الجمع بين لفظين مثبتين متضادين [3] مثل قوله:

حســـناء تعـــرف مـــن تســـير لـــه فتجـــد فـــي ســـهلٍ وفـــي صـــعب [4]

وقال أيضا:

ســـار بـــن يحيـــى فـــي الصـــبَّا بثـــاً أســـرى بـــه شـــرقاً إلـــى غـــربِ [5]

فالطباق هنا إيجاب بين لفظين مثبتين متضادين في البيت ما بين (سهل وصعب) فإن السهل ليس كالصعب، أما في البيت الثاني فإن الطباق ما بين (الشرق والغرب)

أما طباق السلب وهو النوع الثاني من الطباق فهو: أن يجمع بين فعلين مصدر واحد أحدهما مثبت والاخر منفي بأحد أدوات النفي [6]

وفي ذلك ذكر (ابن نباتة):

ومـــع العـــذول يـــرى ليلـــى ويســـمع مـــن لا يســـمع العـــذل فيهـــا قـــول فحشـــاء [7]

وقال أيضاً:

وزال ومـــا زال مـــن وصـــلٍ شـــفيت بـــه من عارض اليأس لكن بعد أشفائي [8]

وأيضاً:

خـــالي الحشـــا أنْ دعـــا فكـــري لشـــكوته أجـــاب دمعـــي مـــا دمعـــي ســـوى طلـــل [9]

وهنا يقع طباق السلب بين (يسمع ولا يسمع) في البيت الاول وبين (زال وما زال) في البيت الثاني و(دمعي وما دمعي) في الثالث، إذ إن الطباق قائم على أدوات النفي وهي (لا- ما) فلولا هذه الادوات لما كان يعرف أن هذا طباق سلب.

التكرار اللفظي:

اعتمد الشاعر التكرار اللفظي في أسلوب نظمه، ولكن يعلم أن التكرار يفيد ترسيخ المعلومة في ذهن السامع وقد أولع (ابن نباتة) بهذا الفن ووظفه في قصائده بشكل واضح، من ذلك قوله:

كـــم قصـــدنا محمـــد فحمـــدنا شـــادويّ الفخـــار والتهـــذيب
كـــم مـــدحنا منـــه نســـباً فجئنـــا بمـــديح مكمـــل ونســـيب
كـــم لـــه فـــي حمـــاه نفحـــةِ غيـــثٍ شـــملت فـــي الـــبلاد كـــلَّ جـــديب
كـــم لـــه عزمـــة إلـــى أرض مصـــر بشـــرت عـــام وفـــدها

---

[1] ينظر: خزانة الادب 65.
[2] ينظر: انوار الربيع في انواع البديع (المعصوم 2/ 32).
[3] ينظر: البلاغة والتطبيق 349.
[4] الديوان 35.
[5] المصدر نفسه 33.
[6] ينظر: البلاغة والتطبيق 438.
[7] الديوان 8.
[8] المصدر نفسه 8.
[9] المصدر نفسه 313.

كـــم أشـــاع الاعـــداء أمـــراً فهـــا للـــــــه فاشـــــنعوا بلطـــــفٍ عجيـــــب [1]

التكرار هنا واضح تجسده أداة الاستفهام (كم) للتأكيد على قضية أن الرسول محمد ﷺ هو رسول رب العالمين وكيف إن الله عزَّ وعلا رد على أعداءه رداً جازماً لا يخلو من لطف.

وقال أيضاً:

فـــنعم الحصـــن إن طلعـــت خطـــوب ونعـــــم القطـــــب إن دار الثنـــــاء
ونعـــــم الغـــــوث إن دهبـــــاء دارت ونعـــــم العـــــون إن دار الرجـــــاء
ونعـــم المصـــطفى مـــن معشـــر مـــا نجـــوم النيـــران، لهـــم كفـــاء [2]

هنا تكررت لفظة (نعم) التي اكدت معنى الابيات بنعم (الحصن– القطب– الخطب– العون– المصطفى) كلها اكدتها لفظة (نعم) والتي هي صيغة من صيغ المدح.

وقد تعد ظاهرة التكرار اللفظي عيباً شعرياً في بعض الاحيان يعاب عليها الشعراء. إلا أن الشاعر أن احسن توظيفها في شعره، وأجاد فتعد نقطة له لا عليه، والشاعر (ابن نباتة) متمكن في توظيف هذا الأسلوب البلاغي كما وفق في توظيف غيره من الاساليب في نتاجه الشعري فالشاعر المتمكن هو الذي يطوع الالفاظ له كيفما شاء فـ ((تجري من السمع مجرى الالوان من البصر))[3].

حيث إن الشاعر كان ينتقي من الالفاظ ويتخير ويفاضل بينهما ويميز بعضهما على البعض متخذاً في نظمه البيت من الشعر لفظاً خاصاً يأبى غيره.

التراكيب

جاءت تراكيب القصيدة في شعر ((ابن نباتة)) قوية ورصينة امتازت بصياغة ذات احكام واضحة ومما يميز هذه التراكيب وجود بعض الظواهر مثل (الجمل الطويلة) فقد عمد الشاعر في بعض التراكيب إلى أن يأتي بمثل هذه الصياغة المتمثلة في بعض الجمل (جمل الشرط) التي أداتها (إن) فيكون جواب الشرط في البيت التي يمثل عجز البيت الشعري (أداة الشرط) نحو قوله:

إن أبـــــي وولـــــده وعـــــرض لعـــــرض محمـــــد مـــــنكم وفـــــاء [4]

هنا وظف أداة الشرط (إن) وقد وقع جواب الشرط في عجز البيت الذي هو اداته (لام الشرط) في قوله (لعرض) وقد وظف الكثير من ظواهر التراكيب اللغوية منها (الأمر– النهي– التمني...الخ) فإن هذه التراكيب تكون ضمن:

1– الانشاء الطلبي
2– الانشاء غير الطلبي

ومن التراكيب ضمن الانشاء الطلبي والتي وردت في شعر ابن نباتة:

1– الامر: هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والالزام [5] وهو صيغة تستدعي الفعل أو قول ينبني على استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء[6] ومنه قول ابن نباتة:

---

[1] المصدر نفسه 24.
[2] المصدر نفسه 3.
[3] سر الفصاحة 110.
[4] الديوان 421.
[5] ينظر: البلاغة والتطبيق 123.
[6] ينظر: الطراز المتضمن 3/ 281.

دع الـــرمح يســـند عـــن قـــدود أحبتـــي فـــــإنَّ قـــــدود المـــــالكين عـــــوالي [1]

وفي قول آخر له ورد فيه:

خـــذ الحـــذر مـــن لحـــظٍ لـــه وذوائـــب فمـــــا هـــــو إلاّ ســـــحرة وحبالـــــه [2]

وظف ابن نباتة في هذه الأبيات الأمر هنا بصيغة (فعل الأمر) هو (دع- خذ) ومن الاعراض المجازية التي وجدناها بكثرة في شعر (ابن نباتة) هي التلهف والتحسر ومنها في قوله:

لهفـــي علـــى أقـــوات ملـــك أســـبغت نعمـــــاكم فـــــوق البريـــــة ظلَّهـــــا [3]

وقوله:

خلّـــوا بعقـــد الحســـن اجيـــادهم وحـــــاولوا صـــــبري حتـــــى اســـــتحال
فـــآه مـــن عاطـــل صـــبرٍ مضـــى والحمـــــد لله علـــــى كـــــلَّ حـــــال[4]

وجد في هذه الابيات أمر بصيغة (التلهف) في البيت أعلاه، و(التحسر) في البيت الذي تلاه من خلال الاداة (آهٍ).

2- النهي: معناه طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء والالزام [5] وأن النهي لابدَّ فيه من كراهية منهية [6] أي لابد أن يكون هناك أمراً مكروهاً ينهى عنه في مثل قول (ابن نباتة):

لا تخـــش بيتـــك أن يلـــوي الزمـــان بـــه فـــــإن للبيـــــت ربّـــــاً ســـــوف يحميـــــه [7]

وقوله:

لا تـــنس رســـم العيـــد فـــي العيـــ ـــــد الـــــذي يختـــــال حســـــنا
وأهنـــــا بـــــه وعلـــــى الحقيـــــ ـــــقة فهـــــو أولـــــى أن يهنـــــى [8]

وظف الشاعر ابن نباتة هذا النهي بصيغة التي هي (لا الناهية مع الفعل المضارع المجزوم) فقد وجدنا في البيت الاول أن النهي هو في (الخشية على بيته وللبيت رب يحميه) أما الثاني ففيه نهيٌ عن نسيان رسم العيد.

3- الاستفهام: المقصود بالاستفهام هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل، وهو الاستخبار [9] والاستخبار يعني أن تكون هناك معلومة مسبوقة إلا أنها غير مفهومة مبهمة ولابدَّ من الاستفهام عنها بأدوات معينة منها (هل- أين- كم- متى...الخ) فالشيء [10] غير المفهوم عند السؤال عنه مرة ثانية يكون استفهاماً.

الكثير من نتاج ابن نباتة يشمل موضوع الاستفهام:

كـــم ليمنـــاك عنـــدنا مـــن الأيـــاد لـــيس فيهـــا لواصـــف مـــن شـــمالي[1]

---

[1] الديوان 398.
[2] المصدر نفسه 400.
[3] المصدر نفسه 412.
[4] المصدر نفسه 421.
[5] ينظر: البلاغة والتطبيق 129.
[6] ينظر: الطراز المتضمن 3م 285.
[7] الديوان 573.
[8] المصدر نفسه 531.
[9] ينظر: البلاغة والتطبيق 131.
[10] ينظر: البرهان في علوم القران 2/ 326.

هنا السؤال كم عدد الايادي:

وفي بيت اخر جاء فيه:

أيـــن ســـهام العـــيش مقســـومة وأيـــن فـــي الالفـــاظ تســـهيمي
أيـــن اوطـــان الغنـــى والهنـــا وايـــن أقـــدامي وتقـــديمي [2]

هنا استخدم اداة الاستفهام (أين) بمواضع جميلة.

بصيغة التكرار اللفظي بسؤاله عن سهمه ونصيبه للعيش المقسوم له في هذه الحياة.

4- النداء: وهو صيغة بلاغية أخرى وظفها الشاعر في نتاجه الشعري، ومعناه التصويتي بالمنادى ليقبل أو هو طلب إقبال المدعو على الداعي، وله عدة أدوات هي (آيا- هيا- وا- أي ...الخ)[3].

وفي ذلك جاء قول ابن نباتة:

أيهـــا الحاســـد المعـــذب فيـــه جئـــت شـــيئاً مـــن الشـــقاوة إدّا [4]

هنا وظف حروف النداء وهي (أ- أيها) لنداء سكان القلب، والحساد إليه.

5- التمني: وهو تمني حدوث أمر محبب في المستقبل وهو قريب في مفهوم الترجي إلا أن الأول من المستحيلات في حين الترجي لا يكون إلا في التمنيات وقد ورد قول للشاعر فيه معنى التمني [5]:

ليـــت ذهنـــي يخلـــو فيخـــدم شـــعري كـــلَّ جـــدّ وكـــل هـــزلٍ بجـــوهر
ليـــت شـــعري يصـــفو كمـــا كـــان قـــدماً فعســـى الحمـــر ماحيـــاً مـــا تكـــدر [6]

فليت هي أداة التمني هنا وكذا ورد عنده التمني بـ (لعل)[7].

النفي والاستثناء

وهو ما يبدأ باداة النفي ولكنه يستثنى في بعضه فإن أداة النفي هي (ما) ليس) أما اداة الاستثناء فهي (إلا) وفي هذا جاء قوله:

ومـــا الـــدهر إلاّ خـــيط فجـــرٍ وليلـــه فجـــران مـــن شـــخص الفتـــى بانتقالـــه [8]

وأيضاً قوله:

ومـــا الشـــيب إلاَّ كالحســـام مجـــرداً لتعجيـــل ادواء الضـــلال لجســـيمها [9]

هنا بين النفي باداة النفي هي (ما) وأداة الاستثناء التي هي (الا) فقد نفي في البيت الاول الدهر وطوله عبارة عن خيط الفجر أما النفي في البيت الثاني للشيب جسَّده وعبر عنه بالحسام مجرداً من بيته.

---

(1) الديوان 406.
(2) المصدر نفسه 455.
(3) ينظر: البلاغة والتطبيق 140.
(4) الديوان 110.
(5) ينظر: البرهان في علوم القران 2/ 323.
(6) الديوان 240.
(7) المصدر نفسه 342.
(8) المصدر نفسه 408.
(9) المصدر نفسه 486.

الاستثناء غير الطلبي:

ويتضمن (صيغ المدح والذم والرجاء والقسم...الخ). فقد وجدنا أن (ابن نباتة) قد وظف صيغ المدح بكثره في شعره بل لا تكاد تخلو قصيدة من هذه الصيغ حتى أنه يوظف هذه الصيغ بتكرار في بعض قصائده نحو صيغ المدح (نعم- وحبذا) والذم (بئس- ولا حبذا) في مثل قوله:

نعـــم المـــلاذ لمـــن بلـــوذ بظلـــه مـــن شـــرّ مـــا يخشـــى ومـــا يتحصـــن [1]

(فنعم) هنا صيغة للمديح ضمن معنى نعمة الخلاص والملاذ الذي يلجأ إلى ظله الانسان الخائف من الشر.

وقوله أيضاً:

لعمـــري لقـــد طبـــتم وطابـــت محاتـــدٌ وطابـــت لكـــم يـــا زبـــدة الفضـــل ألبـــان [2]

وهنا الانشاء بصيغة القسم (لعمري)

وكذا في قوله:

هـــذا نبـــاتي لفـــظ يشـــتكي عطشـــا لعـــــل أفقـــــك بـــــالأنواء يســـــقيه [3]

هنا نجد صيغة الرجاء (لعل) تخلق جواً من التناسب فهو يترجى أن يسقي نباته العطشان من الانواء.

وفي بيت آخر جاءت صيغة التعجب القياسية (ما افعل) في قوله:

مـــا احســـن الـــدنيا نعيمـــاً ومشـــكاً بدولـــة ســـلطان ممـــا شـــكو مـــن شـــكا [4]

نخلص من كل ما سبق إن الألفاظ والتراكيب التي وظفها الشاعر (ابن نباتة) في شعره كانت سهلة المخارج للحروف وفيها من رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة والتنافر فيها، وكثير منها مقتبس من ألفاظ القران الكريم ومتضمنة ألفاظ من الشعر القديم وحتى الالفاظ العامية التي وظفها أحياناً كانت مستوحاة من روح الإسلام، أما تراكيبه فقد وظف تراكيب النحو العربي في نتاجه الادبي أروع توظيف وتضمنت موضوعات نحوية كثيرة.

الاوزان والقوافي في شعر ابن نباتة:

1- الاوزان

نظم ((ابن نباتة المصري)) شعره على اغلب الأوزان التي عرفت في الشعر العربي فقد نظم في (الطويل- البسيط- والوافر) فضلاً عن أوزان أخرى، وكان نظمه في اختيار الشاعر للوزن يكون بحسب ما تقتضيه الحالة الشعورية التي تكون عليها نفسيته وقت نظمه للشعر [5].

ومن البديهي أن الشاعر لا يضع مقياساً محدداً يقيس به وزنه ولا ينتخب البحر الذي يناسب حالته أثناء نظمه لقصيدته، ولكن ذلك قد يأتي فطرياً أو بديهياً نتيجة الخبرة والموهبة فالشاعر ينتخب البحر الذي يتلائم ونفسيته بشكل عفوي قد لا يعد له العدة.

فلو نظم الشاعر قصيدته في (المديح أو الرثاء أو الهجاء) حاكى غرضه بالاوزان الرصينة التي تناسب هذا البحر الذي يقول فيه، لهذا ورد في المديح عن الشاعر (ابن نباتة المصري) إذ حاكى غرضه بالبحر البسيط لأنه من البحور

---

[1] المصدر نفسه 501.
[2] المصدر نفسه 566.
[3] المصدر نفسه 566.
[4] المصدر نفسه 580.
[5] ينظر: الشاب الظريف 110.

الكبيرة المهمة من حيث تأثير هذا البحر في نفوس السامعين واستيعابه للمعاني المهمة فقد جاءت اكثر المدائح الصادقة على هذا البحر، إذا امتازت تفعيلاته بالجمال والقابلية على الاطالة واستيعاب القصيدة، وقد نظم أغلب الشعراء على هذا البحر وأغلب ما نظم فيه على سبيل الحكمة [1].

ومن بين هؤلاء الشعراء (ابن نباتة) وقد حاكى غرض (المديح) في البحر البسيط نحو قوله في مدح الرسول ﷺ

أودت فعالـــك يـــا أســـما باحشـــائي وحيرنـــــي بـــــين افعـــــالٍ وأســـــماء
إن كـــان قلبـــك صـــخراً مـــن قســـاوته فـــإن طـــرف المعنـــى طـــرف خنســـاء [2]

حيث إن تفعيلته هي:

مســـتفعلن فـــاعلن ســـتفعلن فـــاعلن مســـــتفعلن فـــاعلن مســـــتفعلن فـــاعلن

حيث سمي الخليل البسيط بسيطاً لأنه انبسط عن مدى الطويل، وكذلك تسمي البسيط بسيطاً لأن الأسباب انبسطت في اجزاءه السباعية فحصل في اول كل جزء من اجزاءه السباعية سببين، وكذلك لانبساط الحركات في عروضه وضرورية[3].

كذلك وظف البحور الشعرية الاخرى في اشعاره، فلم يقتصر على بحر بعينه، ومنها المتقارب الذي جاء فيه قوله:

ثقيـــــلٌ ثقيـــــلٌ ثقيـــــلٌ ثقيـــــلٌ ثقيـــــلٌ ثقيـــــلٌ ثقيـــــلٌ ثقيـــــلٌ [4]

ولم يقتصر الشاعر على النظم في الأوزان وإنما تجاوز الاوزان المعروفة لينظم في الاوزان المستحدثة مثل:

الدوبيت:

هو وزن من الاوزان الشعرية الجميلة جداً والمستخدمة عند شعراء الموشحات وهذا الوزن استحدثه الفرس، كما يذكر بدليل أن لفظة (دوبيت) المتكونة من مقطعين ليست عربية بل فارسية في (دو) معناها أثنان وهي فارسية وبيت كلمة عربية، مستخدمة عند الفرس[5]. أو هو قالب شعري ظهر في الشرق مثل ظهور الموشح في الاندلس والمغرب [6].

وزنه:

فعلـــن متفـــاعلن فعـــولن فعلـــن فعلـــن متفـــاعلن فعـــولن فعلـــن [7]

ويمتاز الدوبيت بنغمته الغنائية الجميلة المأخوذة عن التفعيلة العربية الخليلية.

أما شاعرنا ((ابن نباته)) فقد استخدم الدوبيت من ضمن الاوزان الشعرية التي استخدمها لبناء قصيدته نحو قوله:

يـــا مـــن تـــوفر طيفهـــا شـــهري لقـــد أمـــن ازديـــارك فـــي الرجـــاء الرقبـــا [8]
يـــا مـــن يطيـــل أخـــو الهـــوى لقوامهـــا شـــكواة وهـــي الصـــعدة الســـمراء

والدوبيت هو لون شعبي اشتهر في بغداد والشام ثم مصر ثم في من تأثر به في البلدان العربية. وهذا اللون من النظم لا يدخله اللحن فقد ذكرة صفي الدين الحلي مع الشعر والموشح وقرر أن لا يختفر اللحن فيها [1].

---

[1] ينظر: الجديد في العروض (48، 50).
[2] الديوان 51.
[3] ينظر: الكافي في العروض والقوافي 98.
[4] الديوان 425.
[5] ينظر: الجديد في العروض 65.
[6] ينظر: الشاب الظريف 111.
[7] ينظر: المصدر نفسه 111.
[8] الديوان: 112.

الموشح:

ولم يقتصر ((ابن نباتة))على الاوزان والدوبيت في نظم قصائده وأنما تطور إلى قول (الموشح). حيث إن الموشح من الاوزان التي فارق فيها الشاعر بحور الشعر التقليدية (الموشح) هو فن شعري معرب. لقد استحدثه العرب في الأندلس قبل نهاية القرن الثالث الهجري.

بنوة على أبيات يغلب أن تكون خمسة. وقد يغلب أن يزيد على عشرة وأقل ما ترد فيه: أربعة))[2] ويذكره مقدم بن معافى[3] هو الذي ابتدعه ويذكر في ديوان ((ابن نباتة)) قول الموشحات ومنها:

الموشحة الاولى:

إلـــــي بكأســـــك الأشـــــهى إليـــــا ولا تبخـــــــل بعســـــــجدها عليّـــــــا

معتقه تدار على النداما
كأنَّ على ترائبها نظاما
من الراح التي محت الظلاما

أضـــــاءت هـــــي صـــــاعدة الحميـــــا فقلـــــت عصـــــيرُ عنقـــــود الثريـــــا [4]

أما الموشحة الثانية فقد ذكر فيها:

لهـــــا فـــــي كـــــل ســـــامعة رنـــــين يكـــــاد بلحنهـــــا يشـــــدو الحنـــــين

ومشغوف إذا ما الليل جنا
تذكر وصل من يهوى فجنا
كذا من يعشق الاجفان وسنا
نهبن منام مقلته فعنا

علـــــى صـــــحب الجفـــــون الناهبـــــة متـــــى تهـــــدى الضـــــلوع اللاهبـــــه [5]

وسمي بالموشحات إذ لا تلتزم بقافية واحدة بل تنتقل القصيدة من قافية إلى اخرى ومن وزن إلى آخر. وقد عرفها الدكتور (محمد مهدي البصير) بأنها ضرب من الكلام المنظوم تتحدد أوزانه وتتنوع قوافيه تبعاً لرغبة قائله وقدرته على التصرف في أفانين الكلام وقد شبهها المستشرق الأسباني (بالنتيا) بأنها كالعقد المنظوم من سلكين من اللآلي لكل منها لون[6].

فلهذا نجد إن الأوزان التي جاء بها ((ابن نباتة)) متعادلة جيدة. فقد أشار المرزوقي في (شرح الحماسة) إلى تعادل الاوزان وعرفه قائلاً: (أرادة به تساوي سموط الاسجاع. وهي القرائن التي تنزل من الكلام المسجوع منزله المصاريع للشعر. فتعادلها بان تكون المقادير في النطق معتدلة فيه وذلك أصل السجع))[7].

---

[1] ينظر: الشاب الظريف 1/ 111.
[2] ينظر: عروض الموشحات الاندلسية.
[3] ينظر: الميزان الجديد.
[4] الديوان 594.
[5] المصدر نفسه 596.
[6] ينظر: الميزان الجديد في علم العروض والقوافي 301.
[7] المعجم المفصل في علوم البلاغة 381.

فلهذا عد الوزن هو اعظم أركان الشعر. وهو مشتمل على القافية فقد جعل الخليل في كتابه (العروض) الأجزاء التي يوازي بها الشعر ثمانية)[1].

2- القوافي

القافية: هي العلم الذي يبين ما يجب التزامه في أواخر أبيات محل قصية حتى لا تضطرب موسيقاها ولا يختل ترتيبها مركزاً على حروفها وحركاتها وعيوبها وأشكالها [2].

فإن القافية علم قائم بذاته اختص به العلماء ومع ذلك لا يمكن فصل القافية وشروطها عن وزن الشعر فلكل إيقاعه الموسيقي المتمم للآخر لذلك نرى المقفل من القافية رغم تقييده بالوزن والبحر واحد لا يهز النفس بقدر الموزون المقفى تكون القافية هي الحرف الأخير من كل بيت من ابيات القصيدة المتكرر في نهاية كل شطر من القصيدة اختلف العلماء فمنهم من يرى القافية أنها آخر كلمة من البيت ومنهم من قال أنها البيت كلة لأن لكل وزن قافية ولكنهم اجمعوا على أنها الحرف الاخير.

ويرى الاخير على أن القافية تبدأ من آخر حرف من البيت إلى أول ساكن وعلى هذا نجد إن القافية تبدأ من آخر حرف من البيت. وقد يأتي الروي وحدة قافية مع حركة المشبعة[3].

فلهذا فإن القافية هي شريكة الوزن في الاختصاص لهذا عرفها الخليل ((بانها اخر حرف من البيت إلى أول ساكن فيه يلي من قبله مع حركة الحرف الذي حركه قبله[4]. وسميت القافية لأنها تقفوا أثر كل بيت [5].

لهذا نجد أن الشاعر ((ابن نباتة)) أولاها أهمية في شعره. وبسبب مقدرته الشعرية فقد جاءت حروف الروي في شعره متنوعة. فمنها (الثاء. الزاي. الضاد. الظاء...))[6] أما الحروف الشائعة فقد استخدمها في قوافيه الاستخدام الامثل .

ومن حروف القافية الموجودة في قوافيه هي:

1- الردف: هو الحرف اللين يسبق الروي مباشرة ويدخل ضمن القافية مع حركة الحرف الذي يسبقه والحركة هنا متجانسة[7].

ومنها قوله:

وخلعـــه لا أرى لـــي مـــن يروقهـــا مـــن حيلـــة مـــع أنـــي مثـــل بطـــال
برفقتـــي مـــن جيـــاد الخيـــل أكملهـــا ولـــي جـــواد ولكـــن نـــاقص الـــدال
أمشـــي علـــى قـــدمي والحـــال واقفـــه فيهـــا فهـــلاّ يكـــون المشـــي فـــي حـــالي [8]

وقد يكون الارداف اشتراك البيت في (الصدر، العجز) بعد حرف الروي مباشرةً في (الياء، الواو) ويسمى هذا كذلك ((الأرداف))[9] نحو قوله:

مـــا لـــي إلـــى الســـلوان عنـــك ســـبيل فـــدع العـــذول ومـــا عســـاة يقـــول [10]

---

[1] العمدة 1/ 141.
[2] ينظر: المعجم المفصل 607.
[3] ينظر: الميزان الجديد 96.
[4] ينظر: العمدة 1/ 159.
[5] ينظر: المصدر نفسه 1/ 162.
[6] ينظر: الشاب الظريف 113.
[7] الميزان الجديد 97.
[8] الديوان 183.
[9] العمدة 1/ 168.
[10] الديوان 394.

حيث اشترك العجز الذي هو تكون فيه القافية وحرف الروي هو (اللام) وما يسبقها من حرف لين هو (الواو). أما الصدر فالروي هو (اللام) ويسبقه هو (اللام) ويسبقه هو (الياء) إذن اشتركا في (الواو، الياء).

1- التأسيس: هو ألف الذي يقع قبل حرف الروي- آخر القافية وقد فصل بين (الروي والف) حرف واحد[1]. هو القافية المؤسسة يسبق الروي فيها ألف هاوية تدعى التأسيس يفصل بينهما حرف واحد يدعى (الدخيل)[2].

نحو قوله:

وســـقى البنـــان يراعـــه حتـــى ارتـــوى فلـــذاك يهـــزأ بالوشـــيح الـــدابل
يـــا ابـــن الملـــوك الشـــائدين حمـــى الهـــدى والـــرافعين قبابـــة بعوامـــل
والحاصـــدين عداتـــة بقواضـــبٍ صـــارت لطـــول ضـــرابها كمناجـــل [3]

نجد إن القافية هي مؤسسة بحرف الروي (اللام) مع فاصل بين الروي والف في هذه الابيات حيث بالبيت الاول (الباء في الدابل) و(الميم في العوامل) والجيم في مناجل.

2- الدخيل: هو ما كان فيه ألف بينها وبين حرف الروي حرف يجوز تغييره فذلك الحرف يسمى (الدخيل)) وحركته تسمى الاشباع [4] أو هو الحرف واحداً الذي يتوسط التأسيس والروي وليس بالضرورة أن يكون الدخيل حرفا واحداً ملتزماً في جميع الأبيات [5].

وقد ورد في شعر ((ابن نباتة المصري)) كثيراً نحو قوله:

معذبـــة القلـــب فـــي حبّهـــا لتهنـــك عيشـــتك الراضـــية
لأرخـــص معـــي غـــداه الســـرا تـــأرج أنفاســـك الغاليـــة
فللـــه رائحـــة مـــن شـــذاك حيـــاتي مـــن أجلهـــا غاديـــة [6]

حيث إن القافية هي (الياء) الروي هو (الياء) لكنه فصل عن التأسيس (ألف) في الأبيات الثلاثة بحرف واحد هو (الضاد في راضية) و(اللام في الغالية) و(الدال في غادية).

أما الدخيل الذي يفصل عن التأسيس باكثر من حرف نحو قوله:

أعمـــال بـــرك فـــي حلـــي امتـــداحك يـــا علـــيّ ســـيادة بـــين الاقـــاليم
فـــي خنصـــر العـــد أو جيـــد الرجـــاء بمـــا خيـــر القلائـــد أو خيـــر الخـــواتيم [7]

هنا الدخيل هو (اللام والياء) الذي بين الحرف الروي هو (الميم وبني ألف) الذي هو التأسيس في البيت الاول وبين (التاء والباء) في الثاني في قول خواتيم)).

3- الخروج: هو ما تبع رويه وصل فقط والوصل هو احد هذه الحروف هي (الياء. الواو. الف. الهاء)[8] أو حرف مد زائد بعدها الوصل ينشأ عن إشباع حركتها فيكون من الضمة واواً. ومن الفتحة ألفاً. ومن الكسرة ياءً [9] نحو قوله:

---

[1] الشاب الظريف 114.
[2] الميزان الجديد 97.
[3] الديوان 398.
[4] الشاب الظريف 114.
[5] العمدة 1/ 170.
[6] الديوان 562.
[7] المصدر نفسه 477.
[8] العمدة 1/ 163.
[9] الشاب الظريف 114.

1- الخروج في الضمة فيكون واواً:

وربَّ مـــــدامٍ ثغـــــره وحبابهـــــا ســـــواء ولفظـــــي والبكـــــا وعقـــــوده
شـــربتُ علـــى وردٍ الربـــى وهـــو خـــدة والاعلـــــى سوســـــاتها وهـــــو جيـــــدة [1]

هنا عوضت الحركة على (الماء) الضمة عن الواو.

2- الخروج في الفتحة فيكون ألفاً نحو:

معـــــودة ســـــحر البيـــــان فبينمـــــا تـــــروق ذوي الألبـــــاب أمســـــت تروعهـــــا
فرائـــد لا ترضـــى ابـــن عبـــاد عبـــدها ويعلـــــو علـــــى وصـــــف البـــــديع بـــــديعها
لـــئن حفظـــت مصـــرُ والشـــام برأيـــه لقـــــد حفظـــــت بطحاؤهـــــا وبقيعهـــــا [2]

3- الخروج في الكسرة فيكون ياءًا منها:

والحمـــــد والأجـــــر مـــــن بضـــــائعه فكـــــم لـــــه كســـــبه علـــــى كســـــبه
بينـــــا يـــــوفي حقـــــوق مكرمـــــه فـــــي اليـــــوم أقضـــــى غـــــداً إلـــــى قربـــــه
فيـــأب نعمـــاة فـــي الأباحـــة مـــن ســـهل وبـــاب الأضـــداد مـــن ضـــبه [3]

حيث عوض بـ (الهاء وألف الاطلاق) عن الالف. و(الهاء والكسره) الواقعة بعد حرف الجر بالياء.

أما العيوب الواردة في قوافي ((ابن نباتة المصري)) في شعره: هي:

1- الأقواء: هو ما كان حرف الروي فيه ساكناً. وحرف الروي الذي يقع عليه الاعراب وتبنى عليه القصيدة فيتكرر في كل القصيدة وتختلف حركة الروي في بيت من أبيات القصيدة [4] أو هو اختلاف حركة الروي فهو تارة كسره وتارة ضمة [5]. أو هو اختلاف حركة الروي في قصيدة واحدة بين الضم والكسر أو في اختلافهما بين الفتح من جهة وبين الضم أو الكسر من جهة اخرى [6] أو هو اختلاف أعراب القافيتين [7].

وقد وقع الشاعر في هذا العيب منها قوله:

عليـــك اخـــا العليـــاء والعلـــم والحجـــى وفضـــــل النـــــدى واليـــــأس والـــــنظم والنثـــــر
لعمـــري لقـــد حملـــت بينـــك فـــي الـــورى مـــن الشـــهب العـــالي الســـنا ومـــن الشـــعر [8]

هنا الاختلاف بين النثر الذي تكون حركته هي الرفع لأنها اسم معطوف وبين الشعر الذي تكون حركة الجر لأنه اسم مجرور.

2- السناد: هو ما تكون حركة الحرف فيه مخالفه للردف. فيجعل شفرا جهته. فإن دخل مع غيره كان سناداً [9] أو هو أن يختلف تصريف القافيتين[10].

---

[1] الديوان 143.
[2] المصدر نفسه 301.
[3] المصدر نفسه 137.
[4] العمدة 1/ 163.
[5] ينظر: الميزان الجديد (شيخ العرب) 110.
[6] ينظر: الشاب الظريف الربيعي 115.
[7] ينظر: نقد الشعر (قدامة بن جعفر) 181.
[8] الديوان 235.
[9] ينظر العمدة 1/ 169.
[10] ينظر نقد الشعر 182.

فإن السناد نوعان هما:

1- سناد الردف أو التأسيس: هو حرف لين يسبق الروي ويجب أن يلتزم في جميع الأبيات ولا يجوز أن يأتي مردفاً وآخر غير مردف [1].

أو الاسناد هو ان يجمع الشاعر بين قافيه مؤسسة وأخرى مجردة من التأسيس في قصيدة واحدة [2] منها قول (ابن نباتة) في قصيدة له:

خفـــض قـــلاك وعللنـــي بوعـــد لقـــا وخـــلّ عمـــري يقضـــى فـــي تقاضـــيه
وابعـــث خيـــالاً ترانـــي مـــن فـــي جـــدل فـــالروح تثبتـــه والجســـم ينفيـــه[3]

هنا كان اسناد في القافية (الياء) حيث إن التأسيس في الكلمة (تقاضية) بين (الالف والياء) أما البيت الثاني القافية فيه خالية من التأسيس في كلمة (ينفية)

2- اسناد الاشباع: هو اختلاف حركة الدخيل حيث ترى حركة الدخيل مرة مفتوحة ومرة مكسورة [4]. أو غير ذلك نحو قوله:

بطيفـــك يـــا بـــدر والطـــارق ومســـبل شـــعرك والغاســـق
وقـــدك يـــا غصـــن واللحـــظ مـــن رشـــق يمـــيس ومـــن رائـــق [5]

هنا اختلفت الحركات الإعرابية بين القافيتين في البيت الأول والثاني فكان الدخيل في البيت الأول هو حرف (السين وهو مفتوح) وفي البيت الثاني كان في (الشين وهو الدخيل مكسور).

3- الإيطاء:

في اللغة: هو من الوطء كان الشاعر أوطأ القافية عقب اختها [6].

في الاصطلاح: هو أن تتكرر لفظه القافية في القصيدة ومعناها واحد. أما إذا اختلف معناه مع اتفاق الكلمتين فإن إيطاء عند الخليل[7] هو أن تتفق القافيتان في قصيدة فإن زادت على اثنين فهو اسمج وإن اتفق اللفظ واختلف المعنى[8] هو أن تكرر كلمة لفظاً ومعنى في آخر بيتين[9] وملخص التعاريف فإن الإيطاء هو: تكرار لفظتين هما قافيتين من كل بيتين في القصيدة الواحدة نحو قول الشاعر:

فمـــا رفعـــت إلاّ عليـــه بيوتهـــا ولأنصـــبت إلاّ إليـــه فجاجهـــا [10]

وبعد عشرة أبيات من القصيدة نفسها كرت نفس القافية قائلاً

فللســـهد مـــا طافـــت عليـــه جفونهـــا وللـــدمع مـــا دارت عليـــه فجاجهـــا [11]

---

[1] ينظر الميزان الجديد 110.
[2] ينظر الشاب الظريف 116.
[3] الديوان 564.
[4] ينظر: الميزان الجديد 111.
[5] الديوان 340.
[6] ينظر: العمدة 1/ 180.
[7] ينظر: المصدر نفسه 1/ 180.
[8] نقد الشعر 182.
[9] ينظر: الميزان الجديد 110.
[10] ينظر: الديوان 89.
[11] الديوان 89.

كذلك من مميزات شعر ((ابن نباتة)) له القدرة على (رد الاعجاز على الصدور) الذي عرفه العلماء القدامى بـ (التصدير)[1]

قائلاً:

فمن العشا إلى الصباح لي الهنا ولي الشقاء من الصباح إلى العشا [2]

هنا رد الهنا من (الليل إلى الصباح) بكلمة (الشقاء من الصباح إلى المساء وهو في مشقة).

فإن خلاصة القول في (الاوزان والقوافي). هما أهم العناصر التي تفرد الشعر بطابعه الخاص. وتطغى عليه اسمه من السمات الحسنة هو الوزن فإن الحسن في الإيقاع يعود إلى الوزن. وجمال التقسيم وروعه التنغيم من الخفه على السمع. والتأثير في النفس ما ليس للكلام المسرود الذي لا يسنده الوزن. ولا يؤلف بينه النظام.

فلولا الوزن لما تهيأ لهذا التراث العربي أن يصل إلينا إلى تعاقب الاجيال وتتابع الدهور. ولا يخفى ما للقافية من سحر وجاذبية ومن جمال ووقع لدى السمع ومن دلالة على براعة الشاعر. فإن اتحاد القافية مع الوزن تصنع في تجميل القصيدة وحسن استوائها ولطف وقوعها [3].

الفصل الثاني

مضمون القصيدة

المبحث الاول: الافكار والعواطف

لابد أن يترجم الشاعر أفكار ناشئة عن رؤاه فإن أفكار الشاعر تصدر عن نفسه من خلال رؤيته للحياة. أما أفكار ((ابن نباتة المصري)) التي كانت في شعره ليعبر بها عن آرائه في الزمن الذي عاشه [4] فأصبح يطلق أحكاماً عليه. فمن أفكاره التي تجلب في شعره هو ذكر حال الضعيف نحو قوله:

كتبت وقد وجدت من التشكي ومس السقم أكثر من ما وجدتا
ألم تعلم بأنك ضمن قلبي فما يصل السقام إليك حتى [5]

ومن أفكار الشاعر التي بثها في شعره. رؤيته للصبر فهو يرى حامله إذا لم يفظى به ابتغى السلو فبات يترقب القدر. إلا إن القدر قد لا يسعد المرء وذا ما فات المرء الصبر وآخذ فكره الصبر وشبهما كأنها ليلة القدر قائلاً:

وتهنأ ألف عيد مثله في مسرات وفي عز ونصر
رفعت قدري فيه ليلة قربتني يا لها ليلة قدر [6]

ج

وكذلك مثل صبرة في شعره من فكرة مأخوذة من صبر الخنساء على أخيها صخر. فأخذه ينشدة في شعره على نفس فكرة شعر الخنساء وهو في ذلك ذكر:

كم لائم في حب خنساء أعرضت وعنق حتى جانس الهجر بالهجر
وشيب رأسي خدها ومعنفي وهنا رماد الشيب من ذلك الجمر
فيا قلب خنساء القوي وأدمعي على مثلك العينان تجري على صخر

---

[1] ينظر الشاب الظريف 116.
[2] الديوان 273.
[3] ينظر الشعر الجاهلي 102.
[4] الشاب الظريف 117.
[5] الديوان 77.
[6] المصدر نفسه 194.

ويـــا قلـــب صـــبراً فـــي عطاهـــا ومنعهـــا فلابـــد مـــن يســـر ولا بـــد مـــن عســـر [1]

هنا مثل شعره بصبر الخنساء على موت أخيها وكيف شاب رأسها من كثرة الحزن هنا ينادي قلب الخنساء في قوله (فيا قلب خنساء) واصفاً قوة الدموع فمن هذه الأبيات تبين لنا إن فكره الصبر مستوحاة من صبر الخنساء على (فراق صخر) ومن الافكار التي جاء بها ((ابن نباتة)) في شعره جاءت بالامثال التي كانت تضرب في المجتمع العربي. وقد استقاها وضمنها في شعره لتكون جزءاً من مجتمعة فمن الامثال التي وردت في شعره قوله:

يـــا مـــن عرفـــت بـــه كســـب الألـــوف ومـــن تمامهـــا أنمـــا جـــاءت ولـــم أســـل
لـــم يبـــق جـــودك لـــي شـــيئاً أو ملـــه تركتنـــي أصـــحب الـــدنيا بـــلا أمـــل
كـــلّ الكفـــاة ذوي الآراء ماثلـــة مثـــل الســـيوف ولكـــن ذو الفقـــار علـــي [2]

هذا المثل هو (تركتني أصحب الدنيا بلا أمل). حيث تركة يصحب الدنيا وهو ليس لديه أي امل.

وكذلك ضمن الشاعر شعره أفكاراً إسلامية كثيرة فمن الافكار التي وردت عنده خلق الانسان وأصله، ومنها قوله:

يـــا ابـــن النبـــي عـــزاء ان بـــدا كـــدر فإنهـــا عـــادة مـــن هـــذه الـــدار
للمـــاء والطـــين أصـــل المـــرء منتســـب فكيـــف ننكـــر أن يرثـــى باكـــدار
إقـــول هـــذا كـــأني عنـــه مصـــطبر والله يعلـــم فـــي طـــيّ إضـــماري [3]

هنا تبين فكرة الشاعر عن ((أصل الإنسان)) هو أن أصل الإنسان من ماء وطين فكيف له أن ينكر هذا الأصل إذا انتسب عليه.

كذلك جعل شعره في فكرة (كيفية إسلام الكافر ودخوله إلى الإسلام)) واصفاً أياه بأنه في الإسلام شمعه نور كما ورد في شعره قوله:

أنســـتنا يـــا أخانـــا فـــي ديننـــا المبـــرور
قـــد كنـــت شـــمعة نـــار فصـــرت شـــمعة نـــور [4]

أضاف الشاعر ((ابن نباتة)) في أفكاره عن شارب الخمر وكيفية ما يستخدمه الشارب لكي يتداوى وعيشه عن الشرب في نشوه السكر.

قائلاً:

وأغيـــد فـــي فيـــه المـــرام ولحظـــه وفـــي أعطافـــه نشـــوه الســـكر
تـــداويت مـــن الحاظـــه برضـــا بـــه كمـــا يتـــداوى شـــارب الخمـــر بـــالخرر
ونزهـــت فكـــري فـــي بـــدائع حســـنه وفـــي عقـــلٍ عـــذالي علـــى أنهـــا تغـــري [5]

ولم يكتف الشاعر ((ابن نباتة)) من أخذ الافكار من ما يدور من حوله كذلك جاء في شعره عن الصحراء وكيفية وجود الرمال بقوله:

---

[1] المصدر نفسه 195.
[2] المصدر نفسه 411.
[3] المصدر نفسه 223.
[4] المصدر نفسه 239.
[5] المصدر نفسه 199.

تـــذكرني الورقـــاء بالرمـــل معهـــداً فمـــل نجـــم أوقـــاتي علـــى الرمـــل طـــالع
ونشـــدو علـــى عيـــدانها فتثيـــر لـــي كمـــائن وجـــد ضـــمنتها الأضـــالع [1]

كذلك آخذ أفكاره عن قصة (عصا موسى ﷺ) نحو قوله:

وأنـــك يـــا موســـى لـــذو القلـــم الـــذي تهـــش بـــه أهـــل الحيـــا وتـــدافع
عصـــا لـــبلاد الشـــام فيهـــا مـــآرب ومـــن يـــدك البيضـــاء فيهمـــا صـــنائع
فراعنـــه الكتـــاب عـــن ظلمنـــا أرجعـــوا فقـــد جـــاء موســـى والعصـــا والقـــوارع [2]

كذلك له فكره جميلة هي عن وجود أسد بين شهب السماء وعقارب الفلك التي تسلب الانسان من غمة وصرف الدهر وهو لا يعلم نحو قوله:

يقولـــون إن شـــهب فـــي كبـــد الســـما لهـــا أســـدٌ يـــردي الأنـــام وعقـــرب
دع الأســـد الأفقـــي يفتـــرس الـــورى ودع عقـــرب الأفـــلاك للخلـــق تســـلب
عليـــك خشـــيت الخطـــب قبـــل أوانـــه وحافـــدت صـــرف الـــدهر وهـــو مغيـــب [3]

وكذلك له فكرة جميلة هو كيفية غرس النبات تهيئة له فكره لنفس الموضوع لكنها لغرس المدائح وأرتباطها معاً (المديح- النبات) بصفة الغرس. نحو قوله:

يـــا غارســـاً منـــي نبـــات مـــدائحٌ مـــن مثلـــة يجنـــى الثمـــار غرائبـــا
إن ناســـبت مـــدحي معاليـــك التـــي شـــرفت فـــإن لكـــل ســـوق جالبـــا
أهـــدي المـــديح علـــى الحقيقـــة كـــاملاً لكمـــو وأهـــدي للـــورى متقاربـــا [4]

ج

فإن خلاصة القول عن الافكار عند ((ابن نباتة)) كانت أفكاراً جميلة تجلب من الواقع فإن القصد من الأفكار هي فلسفة النص او المعنى الذي يلوح به الأثر أو المدلول العقلي الذي يريد النص إبلاغه [5] فقد وجدنا أفكار ((ابن نباتة)) أفكار يريد إيصالها إلى كل من قرأ شعره وتأمل فيه جيداً. نجد أن أفكاره كلها من الحياة اليومية إلا إنه أضاف عليها طابع الحسن والجمال في كل من الأفكار والالفاظ فالأفكار هي المعنى أو النص المكتوب.

1- العواطف

تميز الشاعر ((ابن نباتة المصري)) بحس عاطفي مرهف أثر من خلاله بشعره فأصبح لا يعاضله أحد بالعاطفة المرهفة الجميلة. لأن الشاعر يخاطب في شعره الوجدان البشري. فمن خلال تتابع قصائد الشاعر ومقطوعاته والنظر إلى المشاعر التي تثير في قصائده الشاعر ومقطوعاته والنظر إلى المشاعر التي تثير في قصائده منها يمكن أن نحكم على الشاعر بأنه إنماز عن غيره بعاطفه المفرطه التي لا تخلو منها أية قصيدة من قصائده فإن العاطفة تقع بين الحزن والفرح فإن العاطفة تظهر بوضوح من خلال قصائده التي تحرك كوامن الشعور واكثر ما نلاحظ في ديوان ((ابن نباتة)) أنه لا يغرم في فتاة معينة ولا تقتصر عاطفته لها. وإنما اقتصرت عاطفته على مدح الرسول محمد. ومدح الملوك وكذلك إثارة عاطفه الحزن في شعره.

---

[1] المصدر نفسه 302.
[2] المصدر نفسه 302.
[3] المصدر نفسه 44.
[4] المصدر نفسه 28.
[5] في النقد الادبي 33.

فمنها عاطفة الحزن التي تجلب في شعره بعد ممات ولده:

أبكيـــك للحســـنين الخلـــق والخلـــق كمـــا بكـــى الـــروض صـــوب العـــارض الغـــدق
تبكيـــك رقـــه لفظـــين فـــي مهارقهـــا يـــا غصـــن فأســـمع بكـــاء الـــورق فـــي الـــورق
ومـــا أوفيـــك يـــا عبـــد الـــرحيم وإن بكـــت لـــك العـــين بعـــد المـــاء بـــالعلق

نجد إن عاطفة الحزن قد تجلت في شعره وخاصه أنه يبين حزنه على أبنه الذي مات وهو صغيراً اثار عاطفة الحزن عندة[1].

وكذلك عاطفة الحزن التي تجلت في رثاء أبيه نحو قوله:

أذات الحجـــى إن الحجـــاب ليمنـــع عـــن اللفـــظ حتـــى فـــي رثائـــك يســـمع
ولكـــن تطيقـــي لهـــا ناصـــرية تحـــت علـــى أنـــي أنـــوح وأســـجح
ولـــم لا وقـــد أبصـــرته متحرقـــاً بفرقـــة حـــب راحـــلٍ لـــيس يرجـــع [2]

هنا بحث عاطفة الحزن التي بعث بها إلى أبيه وبها يحبي إليه ويقترب منها ومنه يفوح عطر النبوة الصادقة والطاعة السمحة التي أمر بها الدين الحنيف فالشاعر يجد في أبيه المعلم الاول. الذي أزاح الجهل عنه وتكلم عن الأب والابن.

ففي هذه الابيات تنساب العواطف الرقيقة لتكون مرآة حقيقة تعكس ما كان يختلج في عاطفه الشاعر من صدق هذه العواطف التي جاءت مسامية وصادقة ومستمرة.

ولم يقتصر في عاطفته على عاطفة الحزن كذلك وضحت في شعره عاطفه جميلة هي عاطفة الفرح. وكذلك كانت عاطفية تظهر بصيغة المدح والتغزل فعند النظر إلى قصيدة من قصائده نجد له عاطفه جميلة جداً متداخلة بين حروف القصيدة في قوله:

وأســـكنته قلبـــي الـــذي صـــار فرحـــةٌ فطـــائره قلبـــي الحـــزين ووكـــره

كذلك في قول آخر:

قـــالوا مـــررت زائـــراً بقـــادم حـــج شـــهاباً ثـــم عـــاد بـــداً [3]
تطلـــب منـــه وده ورقـــده قلـــت نعـــم كلاهمـــا تمـــرا [4]

هنا عاطفة جميلة تجلت بقدوم قادماً من الحجاز وهو عزيزاً على شاعرنا ظهرت عاطفه الفرح عليه في شعره.

كذلك له عاطفة الفراق الحبيب وطلب الصبر فيها منها قوله:

أقـــول لقلبـــي العـــاني تصـــبر وإن بعـــد المســـاعد والحبيـــب
عســـى الهـــم الـــذي أمســـيت فيـــه يكـــون وراءه فـــرج قريـــب [5]

---

[1] الديوان 347.
[2] المصدر نفسه 306.
[3] المصدر نفسه 207.
[4] المصدر نفسه 237.
[5] المصدر نفسه 261.

هنا عاطفة جميلة جداً وهي عاطفة الأمل أن يكون الهم الذي نام عليه عسى أن يكون وراءه فرجاً بقرب الساعات عندة.

كذلك في قول آخر:

حمـــــائم وادي الســـــفح ان بلابـــــلاً تثيـــــر أســـــى المضـــــنى وإن قبـــــل تطـــــرب
أحـــن إلـــى أهلـــي وأهـــوى لقـــاءهم وايـــــن مـــــن المشـــــتاق عنقـــــاء مغـــــرب
وإنـــي لطـــلاب الغنـــى غيـــر بـــاب مـــن يقـــول إلـــى الرجـــاء هـــذا الصـــحيح المجـــرب[1]

إذا وجدنا جميلة وهي تذكر مربعه الاولى وأيام الصبا التي قضاها في مصر فيحن إلى أهله وتهتز عاطفته لأجلها كوامن وجدانه.

كذلك قال في ذكر صباه:

يـــا ســـاري البـــرق فـــي آفـــاق مصـــر لقـــد أذكرتنـــي مـــن زمـــان النيـــل مـــا عـــذبا
حـــدث عـــن البحـــر أو دمعـــي ولا حـــرج وأنقـــل عـــن النـــار أو قلابـــي ولا كربـــا [2]
وأنـــدب علـــى الهـــرم الغربـــي لـــي عمـــداً فحبـــذا هـــرم مـــن اجمـــل هـــذا الثغـــر والثنـــا

هنا تذكر البرق في آفاق مصر كذلك الهرم الغربي الذي فارقه في صباة وكذلك قال ((قبل ذلك حدث عن البحر كأنه الدمع

كذلك له مقطوعات وقصائد عن الحب نحو قوله:

يغيـــب الـــذي أهـــواه عنـــي ســـاعة فأنســـام مـــن ليـــلٍ طويـــل أراقبـــة
وكيـــف يطيـــب الليـــل عنـــدي والكـــرى ولـــيس إلـــى جنـــي خليـــلٌ الأرعبـــة [3]

هنا وجدنا عاطفة الحب وما يعاني الشاعر فيها من الأذى الذي يلقاه من محبة والجفوه التي يجدها فيه. فيعمد إلى التعبير عن هذه الخلجات بما يلاقيه من سهر وهو بدون خليل يلاعبة.

فإن هذه الامور التي يجدها الشاعر في محبوبه تحرك في داخله الأسى فلا يجد ابداً من يقضي ليله ساهراً يرتقب الصباح. وذلك لأنه أحبابه مثلما نهبوا قلبه هو أهم فقد تركه وحده السهر.

وكذلك من الامور التي تثير عاطفه الشاعر ما يلاقي من هجران الاحبة وعدم الوفاء من الوعود من محبوبه بقوله:

وآنســـة قـــد فـــرق الـــدهر بيننـــا فللـــه قلبـــي مـــا احـــن ومـــا احنـــى
إلـــى حاجبيهـــا صـــار قلبـــي صـــبابه وقلبـــي منهـــا قـــاب قوســـين أو أدنـــى
وأكـــد طـــول النـــأي والعســـر حيرتـــي بشـــرح شـــهور قـــد خلـــت كلهـــا حزنـــا [4]

حيث بين كيف الدهر فرق بينه وبين من يحب ويحترم ولا يستطيع أن يجده.

---

[1] المصدر نفسه 252.
[2] المصدر نفسه 31.
[3] المصدر نفسه 64.
[4] المصدر نفسه 250.

فالعاطفة هي الحالة التي تتشبع فيها نفس الشاعر بموضوع أو مشاهده وتؤثر فيها تأثيراً قوياً يدفعه إلى الاعراب عما يحس به. وهي من أهم عناصر النص الأدبي التي تميزه من النصوص العلمية وغيرها من الاخبار العادية أو الصحافية بما تظهر من شخصية الاديب أو الشاعر فإن من شروط الشاعر أن تكون عاطفته صادقة [1].

نحن نعرف إن الكلام لا يسمى أدباً ولا يمت إلى الفن بصلة معينة إلا إذا كان فيه روعة التأثير وبراعة الفكرة ودقة المعنى وجمال العبارة ولطف الاسلوب وإشراقه.

فخلاصة القول عن العواطف التي جاءت في شعر الشاعر كانت تأتي عاطفته وينظم فيها الشعر بحسب ما يلاقيه من عطف وحسن معاملة وصد سوء عشره فأتت في شعره ساميه عميقه مترجمه لما يدور من قلبه في حبه وحزنه لأن المشاعر في الشعر تقتضي لسمو العاطفة وعمقها. فنال نيله وحقق مآربه.

المبحث الثاني: الخيال

امتلك الشاعر ((ابن نباتة المصري)) خيالاً خصباً فوفق بازاء الطبيعة ليصورها وحاكى ممدوحيه ومن تغزل بهم ورثاء بصورة لطيفة عبرت عن حسن تأمله وسعة ادراكه في إيصال مجموعة ترابط الصورة للسامع أو المتلقي. ولذلك عند النظر إلى الصور الخيالية عند شاعرنا ((ابن نباتة)) نجده قد أثر في المتلقي حينما أورد حشداً من الصور في قصائده وفي مقطوعاته فإن فاعلية التخييل تتحقق ((من خلال القصيدة التي تحدث تأثيرها في خصائصها التخييلية. والخصائص التخييلية تجعل القصيدة مؤثرة فيمن يتلقاها لا بالاقوال المباشرة أو بالنقل الحرفي للأشياء. وإنما بالاقاويل المحاكية الخيالية))[2] وهذه الاقاويل المحكية والخيالية تمثلت في شعره ((ابن نباتة)) من خلال الصور التي تشكلت في ذهنه قبل أن يأتي بها (باللفظ والتركيب) وهذا يعني أن أشكال الصور تتكون من الصور الفنية بمعناها الحقيقي.

لهذا وجدنا ((ابن نباتة المصري)) في قصائده اعتمد في رسم الصورة على فنون البيان من (مجاز تشبيه واستعارة وكناية) وهو السبيل الوحيد الذي يمكن الشاعر استخدامه من أجل إيصال صورة لطيفة ومحببة إلى سامع أو قارئ الديوان الشعري لابن نباتة ضمن استخدامه لفنون البيان هو

1- فن المجاز

في اللغة: جزت الطريق جوازاً ومجازاً وجوازاً. والمجاز المصدر [3] والموضع أو المجاز مقفل من جاز الشيء يجوزه إذا تعداه وإذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وصف بأنه مجاز على معنى أنهم جازوا به موضوعه ألأصلي او جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً [4].

أما اصطلاحاً:

فالمجاز اصطلاحاً: هو كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والاول [5] .

نحو قوله:

ملـــك إذا نظـــرت عـــين الرجـــاء لـــه لـــم يـــدفع الجـــود رؤيـــاهم إذا نظـــرة

هنا مجاز عقلي لأن النظرة لا تجلب الأسى للملك وإنما تجلب له الرجاء هو المحبوب التي تدفع رؤياهم بالنظرة له. أي فعلت به النظرة فعلتها [6] كما في قول آخر:

وبـــبعض مـــا فعلـــت بقلبـــي فـــي الهـــوى عينـــاك صـــار الليـــث صـــيداً للرشـــا [1]

---

[1] الشعر الجاهلي 284.
[2] ينظر: الشاب الظريف 122.
[3] ينظر: العين 2/ 137.
[4] ينظر: أسرار البلاغة 365.
[5] ينظر: البلاغة والتطبيق 327.
[6] الديوان 191.

هنا مجاز لأن صيد الأسود الذي جاز عنها باستخدامه صار الليث عن صيد الغزلان. فعل فعلته بعيناك بالضمير (الكاف)

إذن شابه الفعل الحقيقي (صيد الرشا) بالفاعل المجازي (صيد الليث) أما الفن الاخر من فنون البيان هو :

((فن التشبيه))

التشبيه في اللغة: شبهه إياه وشبهه به مثله والتشبيه التمثيل [2] أو هذا شبه هذا ومثيله [3] أو من الشبه والشبية المثل واشبه الشيء ماثله [4].

أما التشبيه اصطلاحاً: هو ما وقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها حتى يدني بها إلى حال الاتحاد[5] أو هو الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى[6] أو هو أن يثبت للمشبه حكم من أحكام المشبه به[7]

أو: هو صفة لشيء : مما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة[8] أو هو الدلالة على اشتراك شيئين في وصف من أوصاف الشيء الواحد في نفسه[9] أو عقد مماثلة بين أمرين أو أكثر قصد اشتراكهما في صفة أو اكثر باداة لغرض يقصده المتكلم[10].

نحو قوله:

قـــــدمت كالســـــيف إلـــــى غمـــــده والـــــيمن موقـــــوف علـــــى حـــــدة [11]

هنا شبه (ابن العطار) ملك من الملوك أنه كالسيف الذي يرجع إلى بيته هكذا وصف هذا الملك عندما رجع من الحج وهو بهذا شبه تشبيهاً عقلي.

وكذلك في قول اخر:

ولـــن أنـــس مســـرى نعشـــه يـــوم جمعـــه تجمعهمـــــا كـــــالخميس أذا ســـــرى [12]

هنا شبه (حمل والسير وراء نعش القاضي تاج الدين بن زيات خضر) كاليوم الذي تتجمع فيه الهموم كالخميس باستخدامه أداة التشبيه هي (الكاف)

2- تشبيه الملفوف: هو جمع كل طرف منها مع مثله كجمع المشبه مع المشبه والمشبه به مع المشبه به. بحيث يؤتى معاً على طريق العطف أو غيره. ثم يؤتى بالمشبهات بها كذلك نحو قوله [13] :

فمـــــن دال ومـــــن ألـــــف ومـــــيم كقـــــوس أو كســـــهم أو قتيـــــر [14]

---

[1] المصدر نفسه 273.
[2] ينظر: البلاغة والتطبيق 261.
[3] ينظر: جواهر البلاغة 214.
[4] ينظر: المعجم المفصل 322.
[5] ينظر: نقد الشعر 122.
[6] ينظر: الايضاح 213.
[7] ينظر: المثل السائر 2/ 153.
[8] ينظر: العمدة 1/ 194.
[9] ينظر: حسن التوسل 106.
[10] ينظر: جواهر البلاغة 247.
[11] الديوان 149.
[12] المصدر نفسه 244.
[13] ينظر: جواهر البلاغة: 219.
[14] الديوان: 213.

هنا التشبيه جميل جداً حيث جمع بين (المشبة) في صدر البيت وجعل المشبه به في عجزه نحو قوله ((الدال يقابلها القوس. ألف يقابلها السهم، أما الميم يقابلها قتير. وقد يسمى هذا التشبيه (تشبيه على التوالي) بذلك حقق صورة لطيفة نسجها من خياله الثر مستعيناً بهذا النوع من التشبيه .

3- التشبيه الجامع أو الجمع: هو ما تعدد فيه المشبه به دون المشبه. نحو قوله:

بـــــين اللطافـــــة والجزالـــــة قـــــد فـــــاض الـــــزلال بهـــا مـــــن العضـــــب
بينـــــا تـــــرى كالقضـــــب رائعـــــةً حتـــــى تـــــرى كوشـــــائح القضـــــب [1]

هنا جمع بين المشبه هو (الزلال) مشبه فيه حيث كان المشبه به هو في البيت الثاني هو (كالقضب رائعةً) في الصدر و(وشائح القضب) في العجز هنا جمع بين المشبه والمشبه به.

4- التشبيه الضمني: هو تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة. بل يلمح المشبه والمشبه به ويفعمان في المعنى ويكون المشبه به دائماً برهاناً على إمكان ما أسند إلى المشبه نحو قوله[2]:

ودافعـــــت يـــــدك الأوان حائـــــدة تـــــدافع الســـــيل فـــــي اثنـــــاء منعـــــرج [3]

هنا ندرك أن الشاعر ((ابن نباتة)) ينحو منحى من البلاغة يوحي فيه بالتشبيه من غير أن يصرح به في صورة من صوره المعروفة يفعل ذلك نزوعاً إلى الابتكار ورغبة في اخفاء التشبيه لأن التشبيه كما دق وخفي كأن أبلغ وأفعل في النفس أما ((ابن نباتة)) في هذا البيت يبين ((تدافع يد المخابط لكي يأتي بالامال المحققة يشبها تدافع الماء السيل الذي ينزل من قمم الجبال وهي أشرف الاماكن وأعلاها ولا يستقر فيها ماء السيل في أثناء نزوله ومنعرج ولكن الشاعر لم يضع ذلك صريحاً بل أتى بجملة مستقلة وضمنها هذا المعنى في صورة برهان.

5- التشبيه التمثيلي:

في اللغة: شبهت هذا الشيء بهذا الشيء اي مثلته به وعد

في الاصطلاح: ما وجهه وصف. منتزع من متعدد امرين [4] أو امور[5] نحو قوله:

جمعـــــت شـــــمائله المـــــديح كمثـــــل مـــــا جمعـــــت أبـــــي جـــــاد صـــــروف هجـــــاء [6]

نحو بيت اخر:

روض حســـــن غنـــــى لنـــــا فـــــوق الحلـــــ ي فـــــاعلاً بالروضـــــة والغنـــــاء [7]
جـــــائر الحكـــــم قلبـــــه لـــــي صـــــخر وبكـــــائي لـــــه بكـــــى الخنســـــاء

هذه البيات فيها تشبيه تمثيلي جميل جداً. فكان في البيت الاول تشبيه مقترن باداة التشبيه (الكاف مع كلمة مثل كمثل) أما التشبيه في البيت الثاني كان الشاعر يمثل نفسه بالبكاء الذي كانت تبكيه الخنساء على أخيها صخر عند موته.

أما الفن الاخر من فنون البديع هو :

---

[1] المصدر نفسه: 34.
[2] ينظر: جواهر البلاغة 238.
[3] الديوان 91.
[4] ينظر: المثل السائر 2/ 116.
[5] ينظر: الايضاح 249.
[6] الديوان 13.
[7] المصدر نفسه 14.

((فن الاستعارة))

في اللغة: استعار المال طلبه عاريه [1]

في الاصطلاح: تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه[2] أو هو استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء عرف بها[3] أو هو أن تريد تشبيه الشيء بالشيء. وتظهر وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه[4] أو هو من يستعير الشيء ما ليس منه ولا إليه[5]

أو الاستعارة هو أن يستعار للشيء اسم غيره أو معنى سواه [6]

وقد وردت في شعر ((ابن نباتة المصري)) لفظه الاستعارة بقوله:

أعجـــز الـــورق أن تعـــان دمـــوعي فاســـتعارت عـــلاى الغضـــون انتحـــابي
أيهـــا المســـتعير دمعـــي مهـــلاً أن دمـــي كمـــا علمـــت ســـكابي [7]

حيث وردت لفظة الاستعارة بأنه قد عجز الورق من كثرة الدموع فالتجأ إلى الاستعارة بغصون الاشجار لكي يكتب عليها لكثرة حزنه لأن دمعه سكابي:[8]

أقسام الاستعارة التي أبدع فيها شاعرنا ((ابن نباتة)):

1- الاستعارة المكنية: وهي في اللغة: اسم مفعول من كني بمعنى أخفى وستر.

أما اصطلاحا: هي ما حذف فيها لفظ المشبه به. استغناء ببعض لوازمه التي بها كماله أو قاومه في وجه الشبه نحو قوله:[9]

وألأرض ناطقـــة عـــن صـــنع بارئهـــا إلـــى الـــورى وعجيـــب نطـــق خرســـاء[10]

هنا استعار للأرض (النطق) وهي الخاصية التي يتميز بها الانسان إلا أنه قد استعارها إلى الأرض تعجباً بعظمة خالقها.

2- الاستعار التصريحية: هي مصدر من الفعل صرح أي أظهر

أما اصطلاحاً: هي ما صرح فيها بلفظ المشبه به [11]

نحو قوله: [12]

لـــي قلـــم بـــين دجـــى خطـــه يبيـــت دار قـــص وذا زحمـــه
يقـــول مـــن يبصـــر أحوالـــه هـــذا هـــو الـــراقص فـــي الظلمـــه [13]

---

[1] ينظر: البلاغة والتطبيق 343.
[2] ينظر: البيان والتبين 1/ 153.
[3] ينظر: البديع 3.
[4] ينظر: دلائل الاعجاز 53.
[5] ينظر: العمدة 1/ 270.
[6] ينظر: المعجم المفصل في علوم البلاغة 191.
[7] الديوان: 39.
[8] ينظر: جواهر البلاغة 273.
[9] ينظر: المصدر نفسه 273.
[10] الديوان 5.
[11] ينظر: البلاغة والتطبيق 351.
[12] ينظر: الجواهر البلاغة 272.
[13] الديوان 479.

هنا استعارة جميلة جداً وذلك لأنه بين (نور القلم في الظلمة) وقصدة أن الذي لا يعرف القراءة والكتابة في ظلمه. فأنارها من قول ((العلم نور والجهل ظلام)) واخر فنون البيان الذي تمثلت في الصور والاخيلة التي وردت عند شاعر ((ابن نباتة المصري)) هي :

(الكناية)

في اللغة: مصدر كنيت أو كنوت بكذا إذا تركت التصريح به [1]

أما في الاصطلاح: لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ[2] أو هو أن يريد المتكلم العبارة عن معنى فيأتي بلفظ تكون موضوعه لمعنى آخر نحو قوله:

وكلمتنـــــا ســـــيوف الكتـــــب قائلـــــة مـــا الســـيف أصـــدق أنبـــاء مـــن الكتـــب [3]

هنا كناية واضحة وجميلة وهي في جمله ((سيوف الكتب قائلة)) حيث أراد بها ((أقلام الكتب الناطقة عن رثاء قاضي القضاة تقي الدين السبكي. وكذلك كناية عن الأقلام بقوله عن السيوف بأنها أصدق بالمعركة من الكتب لكنه ذكر سيوف الكتب على أنها أقلام صادقة ناطقة.

كذلك له في قوله آخر:

رب ملـــــــيح بأســـــــه فاتـــــــك فـــي الصـــحب حتـــى كلهـــم قـــد عجـــب
يرهـــب قلـــب الليـــث يـــوم الـــوغى وهـــو غـــزال قلبـــه مـــا دهـــب [4]

هنا كناية جميلة جداً في قوله ((وهو غزال قلبه ما رهب))[5] هنا بين أن شجاعة ((مليح اسمه بهرام)) على أن يرهب من كثرة شجاعته قلب الاسد في المعركة. لكنه قلبه حنين رهيف في غير وقت المعركة.

الخاتمة :

هذا البحث (شعر ابن نباتة المصري الفاروقي– دراسة فنية) يقدم للقارئ الشيء اليسير الدقيق عن نتاج هذا الشاعر الذي قد يخفي عن الكثير، هذا النتاج الذي لا يستهان به فقد نظم في أغلب اغراض الشعر العربي وكان مجيداً موفقاً في أسلوب نظمه.

كما قدم البحث دراسة وافية لهيكلة القصيدة عند (ابن نباتة المصري) من حيث خصائص البناء الشكلي والالفاظ والتراكيب واستخدام الاوزان والقوافي، ومن حيث دراسة مضمون النص من ناحية الافكار والعواطف ودراسة الخيال وأهميته في رسم الصورة الشعرية ووضع خطوطها وملامحها.

كان (ابن نباتة) شاعراً مميزاً قادراً على النظم متمكناً من فن القول وله القدرة على الانتقال في قصائده من موضوع إلى آخر فضلاً عن طريقة توظيفه للألفاظ الملائمة لمعانيه، وكان موفقاً وانتخاب الاوزان الملائمة فضلاً عن استخدامه الاوزان المستحدثة.

هذا واخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ.

---

[1] ينظر: جواهر البلاغة 296.
[2] ينظر: الايضاح 328.
[3] ينظر: الصناعتين 353.
[4] الديوان 41.
[5] المصدر نفسه 49.

المصادر والمراجع

- **القران الكريم**
- أسرار البلاغة في علم البيان . (للإمام عبد القاهر عبد الرحمن الجرجاني ت471هـ) تح عبد الحميد الهنداوي ط1.
- أنوار الربيع في أنواع البديع (علي صدر الدين بن معصوم المدني) تح (شاكر هادي شكر) جـ3- ط1.
- البديع (عبد الله بن المعتز) غير محقق (طبعة كراتشوفسكي) ط1- لندن.
- البرهان في علوم القران (بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي) تح (ابو الفضل إبراهيم) ط1.
- البلاغة والتطبيق (الدكتور احمد مطلوب) الدكتور حسن البصير) ط2- بيروت.
- البين والتبين (ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ت255هـ) تح (عبد السلام محمد هارون) جـ1- ط1.
- تاج العروس من جواهر القاموس (السيد محمد مرتضى بن حمد الحسيني الزبيدي) تح عبد المنعم خليل إبراهيم، الاستاذ كريم سيد محمد محمود) جـ25- 26، ط1.
- الجديد في العروض دراسات نقدية (علي محمد جميل) غير محقق- ط1- لبنان.
- جرس الالفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والتقدير عند العرب (د. ماهر مهدي هلال) ط1.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (السيد احمد الهاشمي) تح (صدقي محمد جميل) ط1.
- حسن التوسل إلى صناعة الترسل (شهاب الدين محمود الحلبي) تح (اكرم عثمان) ط1.
- خزانة الادب وغاية الارب (ابن حجة الحموي) غير محقق؛ ط1.
- ديوان ابن نباتة المصري، الشيخ (جمال الدين بن نباتة المصري الفاروقي).
- دلائل الاعجاز (الإمام عبد القاهر عبد الرحمن الجرجاني) تح (محمد رشيد رضا) ط2.
- زهر الاداب وثمرة الالباب (ابي إسحق ابراهيم بن علي الحصري القيرواني) تح (الدكتور زكي مبارك) جـ3- ط4.
- عروض الموشحات الاندلسية، دراسة تطبيقية (الدكتور مقداد رحيم) ط1- غير محقق.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه (الإمام أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني) تح (محمد عبد القادر عطا) جـ1- 2- ط2.
- العين (الخليل بن احمد الفراهيدي) تح (عبد الحميد الهنداوي) جـ4- ط1- بيروت.
- سر الفصاحة (أبو محمد عبد الله بن سعيد بن سنان الخفاجي) تح (عبد المتعال الصعيدي) ط1- القاهرة 1953.
- الشاب الظريف (شمس الدين محمد بن نفيف الدين سلمان) محمد شاكر الربيعي.
- شذا العرف في فن الصرف (الشيخ احمد بن حمد بن احمد الحملاوي) تح مصطفى السقا.
- الشعر الجاهلي (محمد عبد المنعم الخفاجي) ط1 الاردن – غير محققه.
- في النقد الادبي الحديث منطلقات وتطبيقات (فائق مصطفى عبد الرضا علي) ط1 1989 الموصل.
- الصناعتين الكتابة والشعر (ابي هلال حسن بن عبد الله بن سهل العسكري) تح (مفيد قميحه) ط2- بيروت.
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز (يحيى بن حمزة العلوي) ط1- الأردن.
- المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر (ضياء الدين ابن الأثير) تح (محمد محيي الدين عبد الحميد)، ط1، طبعة الدكتور بن (احمد الحوفي- بدوي طبانة).
- مقدمة ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون) جـ1- ط1- بيروت- لبنان.